أفراح وأحزان طفل هذا الزمان
دراسات حول مشكلات الطفل فى أدب يعقوب الشارونى
فريد محمد معوض

أفراح وأحزان طفل هذا الزمان

دراسات حول مشكلات الطفل فى أدب يعقوب الشارونى

فريد محمد معوض



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٨

معوض ، فريد محمد.
أفراح وأحزان طفل هذا الزمان: دراسات حول مشكلات الطفل فى أدب يعقوب الشارونى/ بقلم فريد محمد معوض . ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧.
١٦٨ ص ؛ ٢٤ سم.
تدمك ٩ ٧٨٧ ٤١٩ ٩٧٧
١ ـ أدب الأطفال.
(أ) ـ العنوان .
رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٠٩٤/ ٢٠٠٧

I.S.B.N 977 - 419 - 787 - 9

ديوى٨١٠,٩٠٩٢٨٢

الإخراج الفنى : فاتن رضا
تصميم الغلاف: صبرى عبد الواحد

إهـــداء

إلى ابنتى الحبيبة والمولودة حديثا

« إيمان »

وأرجو من الله أن يكون زمانها. هى وإخوتها

وأطفال مصر أجمل من أى زمان،

بابا فريد

سامول

٢٣ / ٢ / ٢٠٠٣

القسم الأول

• مقدمة

أدب الطفل فى حاجة إلى مواكبة نقدية، تشد من أزره، وتقوم بنيانه، إنه الأدب الذى يتجه إلى أطفالنا، ويخاطب وجدانهم، ويستشرف معهم آفاق المستقبل، لكن النقاد فى شغل عنه، وأساتذة الجامعة يحرثون فى الحقول التى شبعت حرثاً، إنهم مازالوا متوقفين عند كامل كيلانى ومحمد سعيد العريان ومحمد عطية الإبراشى وغيرهم فى تلك الحقبة، ومع تقديرنا الكبير لتلك القمم التى بذرت وأرست دعائم هذا الفن الجميل، إلا أن من تمام الحسن عندهم أن يكون لهم امتداد. وهذا الامتداد بفضل الله موجود.. أين دراسات أدب الطفل المواكبة لهذا الامتداد؟

والحق أن إشكالية المواكبة النقدية ليست قاصرة على أدب الطفل، وإنما الأزمة قائمة فى أدب الكبار، لكنها استفحلت عند أدب الطفل، فمهما أبدع كتّاب الطفل فلا أحد يشعر بهم، ومما يؤدى إلى إحباط كاتب الطفل أن متلقيه ـ الطفل ـ لايتوقف كثيراً ـ ربما ولا قليلاً ـ عند اسم المؤلف، وقد اعتادت النصوص المدرسية أن تقدم اسم المؤلف على هامش النص، هذا إن أنصفت ومهدت له سبيلاً إلى هذا الهامش.

ولولا مجاهدات ومحاولات فردية فى النقد لكان الأمر أسوأ مما هو عليه، فهناك من الأكاديميين من قدموا لثقافة الطفل المعاصرة وأدبه

دراسات مهمة سواء كان بالتنظير أو التطبيق مثل الدكتور محمد حسن عبدالله والدكتور أحمد زلط والدكتور حسن شحاتة ود. محمد متولى قنديل ود. صلاح ترك ود. محمد زيدان. وهناك كتابات نقدية جادة لمبدعين مثل فؤاد حجازى والسيد القماحى وجمال عساكر محمد رجب ومحمد عبد الحافظ ناصف ومصطفى القاضى وكاتب هذ السطور.. وتكتسب كتابات هؤلاء أهمية خاصة بمعايشتهم الحقيقية لواقع أدب الطفل فى مختلف الأجيال، وأنا مع تنشيط هذه الحركة النقدية التى تصدر عن مبدعين، أفضل من الانتظار كثيراً..

وهذه محاولة جديدة أنفذ من خلالها إلى هذا العالم الساحر- أدب الطفل - مستعيناً بعينىْ الطفل اللتين أجعلهما ميزاناً لى حين أدخل إلى عالم القص كاتباً، ومتشبثاً بما يشغل الطفل من هموم ومشكلات.

وسياحتى الأولى هنا ستكون مع كاتب ملأ الدنيا وهجاً وعطاءً، وقدم للمكتبة العربية عطاءً زاخراً، بدأ حياته الأدبية بالكتابة للمسرح، وحصل على جائزة الدولة الخاصة فى الأدب عام ١٩٦٠ التى تسلمها من الرئيس جمال عبد الناصر، وبعدها بعامين على الجائزة الأولى للتأليف المسرحى، ثم اتجه إلى الكتابة للطفل، وفازت قصته «سر الاختفاء العجيب» بجائزة أحسن كاتب للأطفال عام ٨١، ثم جائزة أفضل كاتب للأطفال عن مجموع مؤلفاته عام ٨٨. ثم ذلك الفوز الكبير الذى حصل عليه عام ٢٠٠٢ عن كتابه «أجمل الحكايات الشعبية» من معرض بولونيا الدولى لكتب الأطفال، وهو نفس الكتاب الحائز على الجائزة الخاصة لمسابقة سوزان مبارك فى أدب الطفل، ذلك هو الكاتب الكبير يعقوب الشارونى التى تقول عنه موسوعة أعلام الفكر العربى فى الجزء الثالث منها والصادرة عن مكتبة

مصر عام ٢٠٠٢ ص ٢٤: «أستاذ زائر لأدب وقصص الأطفال فى الجامعات المصرية المختلفة»، وتشير إلى قصصه بأنها «تتميز بالحس الإنسانى المرهف، وبقدرتها على جذب الصغار والكبار لمضمونها المعاصر المتصل بالمواقف الحياتية، ومافيها من شخصيات نابضة بالحياة حتى ليحس القارئ بأنه يعرفها، بالإضافة إلى حيوية الحوار الذى يجيد الشارونى إبداعه للتعبير عن حقيقة الشخصيات وتجسيد المواقف».

وقد استوقفنى ماتطرحه القصص من هموم تشغل الطفل المصرى والعربى، يبدو الكاتب مهموماً بها حتى نراه ينطلق منها إلى عالمه القصصى، وهو ماشجعنى على متابعة هذه المشكلات عبر قصصه، كيف ينظر إلى المشكلة؟ وكيف عالجها؟ ومدى مايطرحه من حلول، ثم أتطرق معها إلى الجانب الأدبى والذى أيضاً أخصص له القسم الثانى من الكتاب لنقف معاً كثيراً عند لغة الكاتب وأسلوبه، ومقومات القص عنده، والجوانب الإنسانية التى تأسره وتدفعه إلى فعل قصصى متميز، ووعيه فيما يتعلق بالجانب التربوى الذى لايبرحه أبداً عبر نصوصه.

ولا يسعنى إلاَّ أن أقدم إليه خالص الشكر، لأنه أمدنى بالمزيد من أعماله فأتيح لى أن أتعايش مع عالمه الفنى والذى يحتاج إلى كثير من القراءات.

والله ولى التوفيق

فريد محمد معوض

• طارق وعلاء على قدم المساواة

ينظر المجتمع إلى الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة نظرة مختلفة، باعتبار أن النقص الذى يعانون منه يستوجب هذه النظرة، وأن الشفقة والتعامل معهم من هذا المنطلق هو أقصى مايريده هذا الطفل منا. غير أن كاتبنا الأستاذ يعقوب الشارونى له رأى آخر، يطرحه فى قصصه، إنه يبرز أهم مايملك هؤلاء الأطفال من مآثر يتفضلون بها على أقرانهم، فهم لاينتظرون المساعدة بل يقدمونها أيضاً، هذا إذا تعاملنا معهم تعاملاً طبيعياً، لأن نظرة الشفقة هذه أكثر ماتؤلم هؤلاء الأطفال، ولن تدفعهم تجاه أى تطور، بل يمكن أن تساهم فى تأكيد وزيادة هذا النقص لديهم.

وفى قصة «سر الاختفاء العجيب» نرى محمود صاحب الساق المصابة، هو الذى يصر على البحث عن صديقه سعيد المختفى، بينما كان للأصحاء رأى آخر، لقد بحثوا كثيراً، واكتفوا بما بذلوا من جهد.

وهاهو الكاتب يعاود من جديد تعميق هذا المعنى من خلال قصة «حكاية طارق وعلاء» الصادرة عن سلسلة مكتبتى بدار المعارف.

طارق طفل صغير، له ظروفه الخاصة، فهو قد التحق بمدرستين مخصصتين للأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة، وعاش مع أطفال حالتهم أسوأ من حالته، وكان من الصعب أن يقيم مع أولئك الزملاء علاقات

صداقة أو أن يجعلهم مشاركين له فى اللعب، وعندما جاء إلى المدرسة العادية اصطحب معه شعوره بالعزلة، وهو يحتاج كما يقول الكاتب إلى بعض الوقت ليتآلف مع بقية الزملاء..

«علاء» يشعر بالخوف من طارق فى البداية، ويعبر لأمه - فى البيت - عن هذا الخوف. وفى الواقع قد ترفض بعض الأمهات أن يجلس أولادهن بجوار من لهم مثل هذه الظروف، لكن فى القصة نرى الأم تشجع ابنها على إقامة صداقة مع هذا الزميل الجديد، والذى يعانى تلعثماً فى النطق.. ونجد المدرسة تتعامل بنفس الشكل.

ويبدى علاء الاهتمام بزميله، ويعرف «طارق» معنى أن يكون له صديق، فيقول بتلعثم لطارق «أنت صديقى».

بعد ذلك نكتشف التفاعل بين الاثنين، ويظهر طارق قدرات رائعة فى الرسم يستفيد منها علاء، ويظهر طابعاً رقيقاً كذلك فى مشاركة صديقه له فى محنته أثناء المرض.

وفى هذه القصة ينبهنا الكاتب إلى أهمية التعامل مع الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة تعاملاً طبيعياً دون إشعارهم أن شيئاً ينقصهم، فيقدم الكاتب روشتة علاجية نعمل بمقتضاها، فأسلوب الشفقة وحده لايكفى، ومن المهم جداً أن ننبه هؤلاء الأطفال إلى مواطن التميز لديهم، وتنقيتها بشكل جيد، فهى بضاعتهم الحقيقية فى مواجهة تهميش المجتمع لهم.

وإدراك يعقوب الشارونى لتلك المشكلة يأتى عن معايشة حقيقية لمشكلات الطفل، وهو عندما يدخل إلى قصته فهو يدخل إلى المشكلة ذاتها، فالمشكلة فى قصة «حكاية طارق وعلاء» ليست فقط فى ظروف طارق وحاجته الخاصة، إنما يلقى به الكاتب إلى المجتمع من خلال

المدرسة، وهو لايضع طارقاً موضع اختبار فحسب [ينجح أو لاينجح]، وإنما هو يضعنا أيضاً فى اختبار مهم هل ننجح فى تعاملنا مع طارق، هل يمكننا أن نعيد صياغة حياته، ونعطيه الثقة التى تجعله يدخل إلى المجتمع بقدراته هو وليس بتفضلنا عليه؟

زميله علاء بدأ ذلك بمساعدته بتصليح هندامه دون أن يشعره أنه قد ساعده مساعدة القادر للعاجز، ومن هنا ينتبه الكاتب إلى أهمية توعية الطفل بكيفية هذا التعامل، فهو الخطوة الأولى فى إكساب الثقة لهؤلاء الأطفال، وهذا يحتاج إلى أسلوب تربوى يشارك فيه مجتمع الطفل، وهو ما رسمه الكاتب عبر قصته.

مدير المدرسة كان على مستوى هذا الوعى فى قوله:

هذا هو زميلكم الجديد.

وأم علاء كانت على نفس المستوى من الوعى حين شجعت ابنها بأن يتغلب على مخاوفه عند التعامل مع طارق.

المعلمة مريم.. كان وعيها لا يقل أهمية عن ذلك حين قالت:

«صديقنا طارق...»

وكانت على وعى جيد بالأسلوب المناسب حين دعت علاء ليختار طارقاً بنفسه:

«يمكنك أن تختار أحد زملاء الفصل وتخبرنى باسمه».

هنا يهيئ الكاتب المجتمع لذلك الطفل، ويبحث له عن مقعد مناسب بينهم، ليكون معهم يشاركهم أحلامهم وطموحاتهم، وهذ التهيئة تتيح لذلك الطفل إظهار قدرات من نوع خاص:

«ورسم لى رأس الطائر ومنقاره كما رسم بعض الريش على الجناحين».

«إنه يرسم أحسن منى بكثير ياماما».

وترد الأم:

«هذا يؤكد ماقالته لك أبلة مريم.. لقد اكتشفت اليوم إحدى مواهبه، إنه قد يختلف عنك، لكن مجموع قدراته ليست أقل من قدرات أى طفل آخر».

ولأن الكاتب هيأ مجتمعه لقبول هذا الطفل قبولاً طبيعياً فكان من الطبيعى أيضاً أن تنتهى القصة بهذه الفقرة.

«كذلك لم يكن غريباً أن يفوز «علاء» بجائزة الطالب المثالى فى مدرسته، وأن تفوز إحدى رسوم طارق بالجائزة الأولى فى مسابقة القراءة للجميع».

هكذا نجد حرص الكاتب على طرق مشكلات الطفل، وإظهارها، ومواجهتنا بها، ثم يعطينا من خلال النص تصوراً خاصاً لحلها من واقع تجاربه ومعايشته الطويلة للطفل، وغالباً يطرق المشكلات التى يعانى منها مجتمع الطفل فى مصر والعالم العربى.

وهاهو الطفل الذى يتصوره المجتمع عاجزاً، يمكنه أن ينجح كما نجح محمود فى «سر الاختفاء العجيب»واتجهت الأنظار بسببه إلى قرية شارونة، ونجح الأولاد ومعهم زهرة فى حماية الشجرة التى كادت أن تقطع بفعل فاعل، هنا ينجح طارق أيضاً بفوزه بالطالب المثالى، بل يحرص الكاتب أيضاً أن يمنح الجميع تكريماً رائعاً بسبب تفوق طارق فتفوز إحدى رسومه بالجائزة الأولى فى مسابقة القراءة للجميع، وبالطبع تفوز المدرسة معه بانتسابه إليها.

فمهما بلغت إعاقة الطفل في عالم يعقوب الشاروني فإن لديه الدواء الذى يجعل طفله متميزاً فيصبح طارق مثل علاء على قدم المساواة.

وقد أبرزت القصة مجموعة من القيم التربوية، أولها الحوار باعتباره قيمة رائدة فى تشكيل الطفل وصياغة وجدانه، علاء يسأل وأمه تجيب، ثم يحاورها فى مواطن أخرى دون سؤال، وينتقل الحوار ليصبح بين علاء ومعلمته، ثم يظهر هذا الحوار بين علاء وأخت طارق ثم نجد الحوار الذى حدث بين الأسرتين وكأنه تتويج لعلاقة طارق وعلاء، ويظهر من خلال ذلك إيجابية الطفولة ومدى ما تمنحه من تقريب بين وحدات متنافرة، وتظهر قيمة التعاون من خلال مساعدة علاء لطارق فى تصليح هندامه لتكون بداية لتعارف جاد بينهما.

ثم يمتد هذا التعارف ليقدم قيمة الصداقة فى تميزها، ثم نستشف من خلال القصة قيمة زيارة المريض، ومساندة الصديق لصديقه، والرغبة فى التعلم، وهى قيم إيجابية مطلوب تقديمها للطفل وخاصة عندما تأتى عبر القصة دون إقحام ودون مباشرة، وتظهر كأنها ضرورية لدفع مجريات الحدث حتى النهاية.

وكما تأتى القيمة فى سياق الحكى يتحتم أن تأتى المعلومة كذلك، وقد عرف الطفل من خلال هذه القصة «حكاية طارق وعلاء» مجموعة من المعلومات المهمة أهمها «من هم الأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة؟» وتظهر أهمية الهاتف فى حياتنا من خلال عدة مكالمات هاتفية تمت داخل النص، اتصال أم علاء بالمعلمة [أبلة مريم] وتعبيرها عن قلقها على علاء، ثم اتصال علاء بطارق للاطمئنان عليه عندما علم أنه ملازم للفراش، وقوله لأخت طارق «قولى له إننى سألت عليه».

ثم اتصال أخت طارق بأبلة مريم وسؤالها عن غياب علاء عن المدرسة، ثم اتصال الأبلة مريم ببيت علاء لمعرفة السبب من الوالد الذى يخبرها بأن حادثاً ألم بعلاء، ثم معاودة اتصالها مرة أخرى للسؤال عن علاء، وقد تبدو هذه الاتصالات كثيرة داخل القصة لكنها كافية لتعريف الطفل بقيمة الهاتف فى حياتنا، وأهمية استخدامه بطريقة صحيحة وعند الحاجة.

وهكذا نرى كاتبنا يحاور أطفاله بطريقة تربوية حضارية، ويتبنى مشكلاتهم، ويمهد لهم سبلاً للارتقاء، ويدفعهم نحو تحقيق ذواتهم، ويقدم حلاً من منظوره، وهو فوق ذلك ينبه التربويين بأننى معكم فى بناء الطفل على الأسس التربوية والعلمية التى هى شغلكم الشاغل، ثم يؤكد للأدباء من ناحية أخرى بأنى لست غافلا بأهمية الفن كوسيط يحقق الإثارة والمتعة..

لكنه فى أى الحالات، أو فى الحالتين معاً، على طريق التنقيب فيما يخص الطفولة ومايواجهها من مشكلات.

● الطفل العامل

قليل من الراحة

فوق السلالم

أين يجد صبى البقال راحته؟ ولماذا لايسمحون له بالراحة، يحمل طلبات الزبائن إليهم، يدخل العمارة، عليه أن يصعد إلى الأدوار العالية لتسليم الطلبات، البوابون لايسمحون له بركوب المصعد، لأنه فى زعمهم «ولد من حديد» فليصعد درجات السلم ويفسح لغيره.. أصحاب الشقق يرتابون فيه، أحدهم صفعه على وجهه؛ لأنه جلس أمام شقته للراحة على السلم، أمسك به من ياقته، وأخذه لصاحب دكان البقالة ليتأكد أنه ليس بلصٍ أو متسول.

عندما يضغط الجرس يفتح له من بالداخل، وعندما يرى أنه صبى البقال يغلق الباب فى وجهه، ثم يدخل ليعرف مايمكن أن يحتاجه البيت.. تلك هموم صبى البقال فى قصة الأديب يعقوب الشارونى «قليل من الراحة فوق السلالم» أو «من يوميات صبى بقال» وهى قصة تعبر بصدق عن هموم الصبى الصغير الذى مارس العمل فى سن مبكرة، فالتهم الشقاء براءته.

والصبى البقال محمل بعشرات الأسئلة أهمها: لماذا يخافون منه؟ ولماذا يغلقون فى وجهه الباب؟ أمه تجيبه «لأنهم لايعرفونك» يقول لها: «عندما كنت فى المدرسة كنت أذهب لأصدقائى فى منازلهم وكانوا لا يغلقون الباب فى وجهى»، وتجيبه أمه «لأنهم كانوا يعرفونك».

وسواء وجد الصبى الإجابات أو لم يجدها فهو فى نظر المجتمع الذى يتحرك فيه «صبيٌ من حديد» من حق الدنيا كلها أن تستريح وليس له هذا الحق، لأن الحديد لايكل ولا يمل ويتحمل أن يدوسه كل شيء.. ويمكننا باطمئنان أن نغلق فى وجهه الباب، ويمكنه أن يصعد السلم إلى أعلى الأدوار عدة مرات، ويمكننا أن نصفعه لأنه لايشعر بالألم!!

والولد الذى هو من حديد لابد أن مشاعره هى الأخرى من حديد، فهو لايتأثر ولايتذمر ولا يضيق فيمكنك أن تغلق فى وجهه الباب عدة مرات، وتقول له: انتظر، وقد لاتخرج إليه ثانية وتتركه واقفاً إلى أن ينصرف، والولد الذى من حديد يعتمد على الفتحات الصغيرة التى تمتع بصره فيرى منها بعضاً من مباهج لايعرفها، وعليه أن يتخيل بقية الصورة، فعندما انفتح الباب ذات مرة رأى جزءاً من مكتبة، أرفف وعليها كتب كثيرة، لابد أنه ذكرته بحلمه القديم حينما كان يحمل كتباً بدلاً من طلبات الزبائن، وعندما انغلق الباب كانت بقية الصورة قد انطبعت بداخله فتمسك بحلمه:

«هل أستطيع أن أطلب كتاباً من هذه الشقة؟».

وعندما تسربت النقود من بين يديه تعرض للعقاب من البقال، ولابد أنه سيتوقع عقاباً من نوع آخر فى البيت، عندما تبكى أمه وتبدى قلة حيلتها، ولايدرى الولد الذى هو من حديد ماذا يفعل، فنراه يفجر أنشودته الحزينة:

«أنا حريص على إرضاء أمى، وحريص على إرضاء عم صلاح صاحب محل البقالة، وحريص أن أرضى كل الزبائن، لكن النقود تضيع منى، وساقى يشتد فيها الألم، وأنا أعمل من السابعة صباحاً حتى الثامنة مساءً، وأحياناً حتى التاسعة، وأمى تنتظر يوميتى ومايمنحنى الزبائن من هبات لتشترى الخبز والفول المدمس لعشاء إخوتى وإفطارهم».

وهكذا يبدو الصبى حريصاً على كل الدنيا، ولا أحد يحرص عليه، ويرى فى النهاية أن عليه أن يستمر فى العمل، ويتحمل آلام ساقه ومشقات «صعود السلالم مع تأجيل الرغبة فى مشاهدة صور الكتب، والامتناع عن محاولة الحصول على أية راحةٍ بالجلوس فوق سلالم البيوت».

وهكذا نجد حصاراً يلف عالم الصبى، فلا أمل فى راحة، ولا أمل فى حياة جميلة، ولا أمل حتى فى تأمل الصور التى يحبها ومطالعة الكتب التى يتمناها، وأن عليه أن يعمل، أتعرفون لماذا؟ لأنه ولد من حديد، والحديد لايهمه أن يدوسه شيء!!

وأكثر من ذلك يمكننا أن نستخلصه من قصة الأديب يعقوب الشارونى إنه يحملنا مسئولية هذا الصبى، ويصفعنا بتفاصيله الصغيرة، ويترك الباب موارباً فى نهاية القصة، ويستفزنا لنبحث عن أمثاله فى العمارات العالية ونحاول أن نخفف ألمه، ونطلب من البواب السماح له بركوب المصعد.. ونوجه نداءنا لأصحاب الأدوار العليا كى يكفوا عن صفع هذا الصبى، لأنه ليس بلص ولا متسول.. إنها صرخة يعقوب الشارونى للمجتمع: «قليل من الراحة فوق سلالم.. من يوميات صبى بقال» إذاً العنوان الأول حلقة من العنوان الثاني، بما يعنى أن تعباً آخر يعايشه فى يوميات أخرى، والصبى لديه القدرة على سرد واقعه.. لابد أن ذاكرته هى الأخرى من جديد!

رغم قتامة ماتطرحه القصة، لكنها الحقيقة التى لايمكن أن ترفضها أو تمجها، ومهما تغض النظر عنها ستلاحقك وستراها، المدينة الغول تبتلع عدداً مهولاً من أمثال هذا الصبى.

وفى قانون الطفل الصادر عام ١٩٩٦ لايسمح للطفل بالعمل أكثر من ست ساعات فى اليوم على أن تتخلل هذه الساعات مدة لاتقل عن ساعة

للراحة. ولايغفل القانون حق الطفل فى خلال هذه الساعة من مأكل ومشرب ثم طبيعة العمل المناسبة لهذا الطفل حتى ولو كان هذا الطفل من حديد!!

«عندما ضغطت جرس الباب لم أكن أعرف هل هى الشقة التى طلب أصحابها ما أحمله من جبن وسكر ومكرونة، وعندما انفتح الباب فتحة ضيقة فوجئت بمنظر رفوف الكتب تغطى الحوائط».

الآن دون مقدمات أو تمهيد نحن مع الصبى أمام الباب، نبدأ معه معاناته التى سيزويها لنا عبر عدة صفحات، ونلاحظ عبر هذه الصفحات دهشة الطفل وصدامه مع العالم فى أول عهده للخروج إلى العمل بعد تركه للمدرسة، خاصة أن قصة الكاتب قد أغرقته بمشكلات كثيرة وجعلته يواجه سطوة المدينة البشعة وقبحها الدميم.

لقد طرق الصبى عالماً جديداً له تقاليده، «وفعل الأمر» هو أكثر الأفعال التى سيتعامل معها فى كل يومياته.

[تعال.. اذهب.. انتظر..]

[أغلقت الباب فى وجهى وهى تقول «انتظر»].

[صاحب البقالة قال لى: لاتغضب» إذا أغلقوا الباب وتركوك تنتظر].

[«اذهب» بهذه الطلبات بسرعة إلى شقة الدكتور سليمان].

[حتى عندما تطيب خاطره ستأمره إحدى السيدات الطيبات بقولها:

[لاتزعل يافتحى.. هذا الرجل يخاف جداً على أطفاله].

ويمكننا أن نلمح أسلوب التوعد الذى يلاحق الصبى دوماً:

[«إياك» أن تقترب من المصعد.. سأكسر رجلك إذا وضعتها داخل الأسانسير].

[سألقى بك إلى الدور الأرضى إذا وجدتك تجلس على السلالم].

ولأن القسوة لاتكف عن ملاحقته فإن لديه عشرات الأسئلة، وسنجد أن استفهامه ليس له قيمة فى مواجهة الأسئلة التى تلقى عليه:

ـ هل أحضرت كل ماطلبناه بالتليفون؟

ـ مالذى جاء بك إلى هنا بالدور الثالث؟

ـ كيف دخل هذا الولد البيت؟

ـ من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟

ـ من الذى طلب هذه البقالة؟

ـ أين بقية الجنيهين؟

ـ هل ضاعت منك النقود اليوم أيضاً؟

وكل الأسئلة لابد أن يجيب عنها، إلا أسئلته هو لايجد لها إجابات ولا يجد شفاء فيما يمنحونه من إجابات، حتى آخر سؤال فى القصة يطرحه الصبى على نفسه، ولا يجد له إجابة:

ـ «هل أستطيع أن أطلب كتاباً من هذه الشقة التى كانت تشبه المكتبة؟» وهكذا تتجسد أمامنا صورة واضحة لصبى البقال المنتشر فى مدن مصر وقراها.

ـ «قليل من الراحة فوق السلالم» قصة قصيرة كتبها يعقوب الشارونى، ولم يتخل فيها عن قضايا الصغار، لذا ركز فيها على معاناة طفله، اقترب

منه ومن مشكلاته، وغاص بداخله، وشاركه حلمه فى مشاهدة الصور الملونة، وكان بوسعه أن يقدم لهذا الطفل حاجته من الكتب والمجلات، لكنه آثر أن يضن عليه بها ليرينا حالة الطفل فى تعاسته، وليترك الباب مفتوحاً للمجتمع لعله ينظر لحال هذا الصبى وأمثاله الموجعين.

وبطل قصتنا هذه ليس مطارداً من الناس فحسب، ولكن أيضاً من الأماكن التى يرتادها، يدفعه البيت للخارج بدافع العوز والحاجة، ويدفعه البقال لتوزيع الطلبات، ويدفعه البواب لصعود السلم رافضاً أن يفتح له باب المصعد، وتلفظه درجات السلم فيتدحرج فوقها، ويصفعه أحد سكان العمارة محركاً إياه إلى مكانٍ آخر.

إنه طفل خارج الحسابات، ومشكلته قائمة لاتزال.

● « صندوق نعمة ربنا »

لاشك أن لكل كاتب منهجه، وخصوصيته التى تميزه فيما يقدم من إبداع، وفى تصورى أن الكاتب الكبير يعقوب الشارونى يتميز كمبدع للطفل بأنه يعايش قضايا الطفل، ويتلمسها عن قرب من خلال معايشته الفعلية للأطفال، واهتمامه بكل مايصدر عن الطفل من أبحاث ودراسات علمية، وما يصدر للطفل من إبداعات متنوعة، ويدقق عبر رحلاته إلى البلاد الأخرى فى طريقة التعامل مع الطفل باعتباره الأساس فى التنمية والأساس لحضارة جديدة، ويشارك عبر عقود من الزمن فى صياغة وجدان طفلنا من خلال مشاركاته الفعالة بجامعات مصر ومنافذها الثقافية، هذا فيما يتعلق بثقافة الطفل، لكن التميز الأكبر فى تصورى أن تخرج ثقافته هذه من خلال إبداع متميز يصل بالرسالة إلى صاحبها دون تقرير يدعو للملل، إنما يتدفق الحكى ممزوجاً بالقيمة فى تضافر عذب وتلاحم قوى.

● لعل هذه مقدمة ضرورية يمكن أن نطبقها بسهولة على أعمال كاتبنا وهى كثيرة، تعدت الأربعمائة كتاب.

والآن ندخل إلى عالم الشارونى من خلال روايته «صندوق نعمة ربنا» الصادرة عن دار المعارف ضمن السلسلة المتألقة «مكتبتى».

والقصة تحكى عن عاصم، طفل فى العاشرة.. شقى.. يثير المشاكل مع رفاقه، ولكنه ليس عداونياً، وله وجهة نظر فى كل تصرف يأتى به ويراه الآخرون خطأ.. وهو يود أن يكشف عن سر هذا الخطأ ويعطى وجهة نظره لكن الكبار لايسمعونه، والسلطة الأبوية والمدرسية تهدد وتنذر ولايريد أن يسمعه أحد..ربما لأن الطفل من الصراحة بحيث يكشف ببراءة أخطاء الكبار.. أو لأنه ليس لدى أحد وقت لكى يحاور فيه الصغار..

لكن مديرة المدرسة تراجع نفسها وتأسف لأنها تخلت عن الحكمة فى معالجة المشاكل، وتقرر أن تحاور عاصم وتحاول اكتشافه بل ومنحه الثقة من خلال صندوق نعمة ربنا، وهى - أى المديرة - تمثل هنا نقطة الضوء والإشعاع الذى ينبغى أن يكون متواجداً فى كل مدرسة، ودعونا نتعرف على هذه المشاكل:

المشكلة الأولى

عاصم وضع الصلصة على رأس زميله فبدت رأسه حمراء بلون الدم حتى أن المديرة طلبت الإسعاف ظناً أنه دم.

وجهة نظر عاصم: أنه قرأ بالأمس قصة «الأميرة والأقزام السبعة»، وفى القصة الصياد يشفق على الأميرة ويتركها فى الغابة ثم يضحك على عقل الملكة ويقنعها أنه قضى على الأميرة عندما لوث جزءاً من ملابس الأميرة بدم غزالة اصطادها.

وتقاطعه المديرة وهو يقول «كنا سنقوم اليوم بتمثيل قصة الأميرة والأقزام» وأنه أراد أن يمثل دور الصياد ومعه قطعة ملابس الأميرة التى صبغها بالدم ولم يجد أفضل من الصلصة للقيام بهذا الدور.

معالجة المشكلة

قبضت عليه أبلة بدرية وقادته إلى مكتب المديرة.. المديرة نفسها نهرته بشدة.

وهنا يعطينا الكاتب الصورة التى يتم بها التعامل مع الطفل فى مجتمعنا عندما يمارس تفكيراً مستقلاً يمهد له طريقاً للإبداع، كما رأينا «عاصم» وهو يحدث المديرة ويبدأ معها الحوار بشكل ينم عن مسلك حضارى وحب للقراءة «كنا نقرأ فى المكتبة» وهذا يعنى أن الولد الذى يتضايق الآخرون منه هو فى الواقع محب للقراءة».. كنا سنقوم اليوم بتمثيل قصة الأميرة والأقزام وهنا بذرة الفن التى برزت عند الولد ذى العشر سنوات، ولكننا رفضنا أن نتحاور مع الولد لننمى حب القراءة والموهبة الفنية عنده.

المشكلة الثانية

قام عاصم بتغيير كراسات واجب الحساب وترك لكل واحد كراسة زميل آخر له فى حقيبته.

وجهة نظر عاصم: إنه يقوم بتجربة جديدة قائلا: كنت أريد أن يتولى كل تلميذ تصحيح كراسة زميله.. وفى دهشة قالت المديرة: لكن أساتذة الحساب يقومون هم بتصحيح الكراسات.

وعندئذ يصمت عاصم ولايجرؤ أن يقول إن الأستاذ يترك كراسات الحساب عدة أسابيع دون تصحيح.

معالجة المشكلة

مدرس الحساب قاد عاصم إلى مكتب المديرة باعتباره مشاغباً ولم يترك لعاصم فرصة بأن يقول وجهة نظره التى ستكون بالطبع ضد

المدرس. ونرى فى وجهة نظر عاصم مايؤكد تعطشه لمتابعة دروس الحساب وأمله فى تصحيح الكراسات مما جعله يفكر فى تجربة جديدة، لكن الأستاذ ينهره ويقول له مستخفاً: «أنت الذى لم تخرج من البيضة تعمل تجربة؟!» وهى النظرة الفوقية التى نتعامل بها مع أطفالنا.

المشكلة الثالثة

المدرس يكلف التلاميذ ومعهم عاصم بكتابة دروس المطالعة عشر مرات فيكتبه مرة واحدة والباقى تم تصويره بورقة الكربون بمعرفة عاصم.

وجهة نظر عاصم: لماذا عشر مرات ولماذا يكرر كتابة شىء عرفه من المرة الأولى؟!

معالجة المشكلة

قاده مدرس اللغة العربية إلى مكتب المديرة كالعادة، وينتهى المشهد عندما يحاور عاصم المديرة بأن تصفعه على وجهه وتطلب منه إحضار ولى أمره. وتأتى الأم لتقرر أنها تعبت من عاصم وهى طوال النهار تصرخ فيه، وتشد شعرها لما يسبب لها من غيظ، ووصفته الأم بقولها له «سبب المشاكل». وهكذا نرى الصورة التى تعامل بها مدرس اللغة العربية مع عاصم لمجرد إبداء وجهة نظر بل وصفعته المديرة رداً على وجهة النظر هذه، ونرى الصورة التى يتم التعامل بها مع عاصم فى البيت، تصرخ فيه أمه طوال النهار وتشد شعرها!!

وهنا يظهر لنا ضياع عاصم بين البيت والمدرسة، فليست هناك فرصة للحوار ولا مجال لاستثمار رغبته فى التجريب والانطلاق وأن عليه فقط

الطاعة العمياء وأن يتلقى مايلقن له.. كما تثير هذه المشكلة شجوناً كثيرة فيما يتعلق بمسألة الواجب التى أجمع التربويون على أنها قاسية للطفل ومملة خاصة حين يمثل عبئاً كبيراً بهذا الشكل.

العلاج الحقيقى

لكن الصورة لاتمضى قاتمة حتى النهاية فنرى مديرة المدرسة أبلة سميحة تراجع نفسها وتسترجع خبرتها فى التدريس عبر ثلاثين عاماً كانت تعالج فيها الأمور على نحو أفضل.. أيعقل أن تقف عاجزة عن معالجة مشاكل طفل العاشرة، وبدأت تفكر فى نشاطه وذكائه، المشكلة فقط فى استخدامهما.

وتستدعى المديرة عاصم إلى مكتبها وتحاوره وتتكلم معه وتطلب منه أن يحضر صندوقاً من فوق المكتب وتتعهد ألا تنظر إليه كى تعطيه الثقة وتقول له: «هذا صندوق نعمة ربنا» وتشير إلى التلاميذ، الذين يأكلون طعامهم أثناء الفسحة ويقع منهم بقايا الخبز ويدوسون عليها وهى نعمة وتقول له ماذا لو جمعت أنت وزملاؤك هذه النعمة وقدمتموها طعاماً للدواجن فى حظيرة المدرسة.

وهنا وجدنا المديرة تتحاور مع عاصم وتحدثه عن نعمة ربنا وعن نظافة المدرسة وعن استثمار بقايا الخبز لصالح الطيور بدلا من شراء طعام يكلفهم نقوداً، وهكذا تضعه فى موقع المسئولية وتعطيه الثقة وتوليه القيادة وتوظف جهوده بذكاء وتفجر طاقاته بدلا من انحرافها عن جادة الصواب.

وفى النهاية يتم تكريم هذا الذى قام بتنظيف المدرسة فتعيد إليه ثقة زملائه.. ويتغير عاصم... ويتفوق ويكبر ويصير من أشهر الأطباء. وهكذا

يقدم الأستاذ الشاروني روشتة علاجية نتعامل بها مع الطفل بعيداً عن الأحكام الصارمة والأوامر الحادة التي توجه للطفل، ويؤكد حق الطفل في التفكير والانطلاق والميول، هذا فيما يتعلق بوعي الكاتب الشديد وحرصه على الجانب التربوي والعلاقة التي تربط بين الكبار والصغار.

وندخل الآن إلى معالجة الكاتب لعمله «صندوق نعمة ربنا»

ونرى دلالة العنوان الذي يرمي إلى بعد شعبي ثري يعشقه الكاتب ويميل إليه.. فقد تربت أجيالنا على حب النعمة وعلى عدم الاستهانة بها.

فمن يدوس على النعمة جاحد.. فإلى جانب الإيحاء الشعبي للعنوان نرى أنه لايشي بشيء من أحداث القصة ولاينبئ إلا عن صندوق سنسعى جميعاً لفتحه معاً لنعرف سره دون أن يكشف العنوان عن تفاصيل القصة.

بدأت القصة بداية ساخنة بعيداً عن التمهيد والتطويل وإنما يأخذنا الكاتب إلى قلب الحدث مباشرة حين دخل الصبي مكتب مديرة المدرسة صارخاً.. وهكذا يأخذك إيقاع القصة السريع الذي يناسب الفعل الماضي.. (دخل الصبي) ... (صاحت المديرة) ... (شاهدت) ... (اندفعت أبلة بدرية) ... (تجمدت ملامح) ... (أشارت بيدها) ... (التفت) ... (تنبهت) ... (قالت) ... (دخل مدرس الحساب) ... (طلبت) ... (ازدادت) ...

اللغة

امتازت لغة الكاتب بالبساطة والعمق معاً...

فلا تجد كلمة يمكن أن تستعصي على فهم الطفل وتحتاج للبحث عنها في مصدر لمعاني الكلمات ومع ذلك فهي فصحى جميلة مثل (ياسبب

المشاكل) (تصورى يا أبلة سميحة) (ضاعت الحصة كلها) (المديرة تطلبك) (الباقى من الفسحة عشر دقائق) وهذا فقط للتدليل وإن كانت القصة كلها دليلاً على البساطة التى قدمت بها.

قيم تربوية حفلت بها القصة

يقول الأستاذ يعقوب الشارونى فى كتابه (القيم التربوية فى قصص الأطفال) إن «المواد المترجمة للأطفال لابد أن تخضع لتدقيق حاسم شديد حتى لاتفسد كثيراً مما نريد أن نغرسه وننميه فى أطفالنا» - و «صندوق نعمة ربنا» سنراه حافلا بقيم عظيمة ونبيلة حرص الكاتب على ترسيخها وإرساء دعائمها فى نفس الطفل مثل قيمة القراءة... والنظافة وآداب الحوار.. وإعمال العقل والتجريب، والحفاظ على النعمة وقيمة التعليم وحب البيئة.

بالطبع دون أن يظهر ذلك فى شكل وعظى أو خطابى وإنما جاء ذلك فى ثنايا الحكى أو الحوار.. بعيداً عن القصدية.. انظر لقول الأم لابنها: سيطردونك من المدرسة... ستصبح إنساناً لاقيمة له...

لمن هذه لقصة

للأستاذ يعقوب الشارونى رأى مهم فهو يرى أنه لايقدم مايكتبه للأطفال فقط مع أنه وهب عمره لهم، إنما هو يقدمه للجميع أطفالا وكباراً، ويأمل أن تلتف كافة المراحل السنية حول نصوصه وتشارك فى مناقشة النص وما تضمنته من قضايا... لذا نجد قضية هذه القصة بالفعل عنصراً مشتركاً بين الكبار والصغار... الصغار تفاعلوا مع زميلهم عاصم وعاشوا مغامراته وتعاطفوا معه وأحبوه... واختلفوا معه أحياناً.

والكبار الذين يجب أن يعرفوا كيف تصرفت المديرة مع عاصم وكيف أن هذا التصرف يمكن أن يمنحنا فرصة لإظهار التميز والمواهب لدى الأطفال.

لكن القصة تتجه بشكل علمى إذا جاز التصنيف واستوجب التوجيه إلى أطفال العاشرة من أمثال عاصم فى نحو الصف الرابع الابتدائى، فالطفل فى هذه السن يرى نفسه فى صورة عاصم وهو يواجه المشكلات ويتابع مايجرى على أرض الواقع.

الرسوم

فيما أعرفه عن الشارونى أن علاقته لاتنتهى أبداً بتقديم قصته للنشر... بل هو يهتم كثيراً بالصورة التى تعانق الكلمة ويختار رساميه ويبدى وجهات نظر مستمرة..

وكان الفنان السكندرى أحمد أمين موفقاً فى رسومه بشكل جميل فرأينا فى صورة الغلاف يداً تربت على كتف عاصم وعاصم يفكر وينظر بعيداً.. ويبدو لنا أنها يد المديرة لكنه لم يشأ أن يعطينا صورتها فى محاولة لفتح الباب لسيدات أخريات يعرفن كيف يربتن على كتف الطفل حين تبزغ مواهبه حتى وإن تبدت فى صورة «شقاوة». كما أحيى الفنان على اختيار لوحاته التى تعطى معانى ذات دلالات مهمة فى القصة، فهو يركز على النمنمة التى تشغل الطفل، فالصورة التى رسمها للمديرة وهى تتعمد ألا تنظر لعاصم كافية لأن تطبع ابتسامة حلوة على الشفاه.

وأخيراً وليس بآخر نعرف إلى أى مدى يعطى الشارونى نصوصه من روحه وقلبه.. ويحاول أن يأخذ بيد صغيره ليضمه إلى مصاف الكبار يناقش ويحاور ويقترح.

ويأخذ الكبار إلى كتيبة الصغار ليستمعوا إليهم ويشاركونهم اللعب والصخب... ويتحقق ذلك بما يتسلح به من معرفة فى شئون الطفل وبما وهبه الله من إبداع.

• الساق المصابة

و«سر الاختفاء العجيب»

يبرز أدب الأستاذ يعقوب الشاروني مشكلات الطفل بشكل متميز، وأعني بالتميز تمكنه من إثارة الموضوع دون ضجيج، ثم مناقشته عبر الأحداث دون مباشرة، كما أنه يقدم الواقع الذي يرجوه أكثر مما يقدم ما يراه في الواقع، إنه يرجو عالماً أجمل للطفل، ويهيئ في كتابته أجواءً لذلك، ويضرب مثلاً للاحتفاء بالطفولة، ويجسد هذا الاحتفاء من خلال شخوصه، لذا نرى دائماً ومضات الضوء في شخوص العمل باعتبارها عناصر لتحقيق الأمل، ورغم تعقبه لمشكلات الطفل عبر كتاباته فإننا نجد نظرته المتفائلة وقد تفاعلت مع حسه القصصي، فرغم كل شيء فإن أجواء الطفولة لاتزال نقية، والإحساس بالانتماء لايزال موجوداً، والوعي يتشكل عبر السطور جلياً واضحاً.

وفي قصة «سر الاختفاء العجيب» يطرح الكاتب مشكلة الطفل محمود، الذي ينظر إليه المجتمع على أنه أقل من رفاقه بسبب الإصابة التي في قدمه والتي كانت من أثر شلل الأطفال، فعندما يكف الجميع عن البحث عن صديقه سعيد المختفي، يتحدث محمود عن ضرورة مواصلة البحث عنه فيقول له صديقه:

«هل تظن أنك بهذه الساق العرجاء سوف تفعل ما لم يفعله الرجال الأشداء؟» (ص ٢٣).

ومحمود الذى يراه الناس معاقاً، يشهد له أصدقاؤه بالمهارة فى استخدام عقله وأصابع يديه «فهو يستطيع إصلاح الراديو الترانزستور ولا يتفوق عليه أحد فى تركيب أسلاك الكهرباء ومصابيحها» (ص ٢٥).

ومحمود أيضاً عاشق لقراءة الكتب، «ويعرف الكثير من المعلومات التى لايعرفها الكبار» ورغم هذه المهارات التى تفوق فيها محمود لم تتغير نظرة أهل القرية إليه، «فقد تعودوا أن ينظروا إلى سلامة الجسم باحترام أكثر من نظرتهم إلى أية مواهب أخرى».

وتلك مأساة نستشعرها جيداً، ولاندرى سبباً لهذه النظرة، ربما احتاجت إلى دراسات نفسية شارحة.. لكنه تقرير لواقع.

وقد أسهم الإعلام للأسف فى دعم تلك النظرة، وأسهمت الأعمال الكوميدية الرخيصة فى ترسيخ هذه النظرة أيضاً فنرى مثلاً استخدام القزم كوسيلة لإضحاك الجمهور دون مراعاة لمشاعر هذه الفئة.

إن مشكلة محمود فى «سر الاختفاء العجيب» أن الناس لايؤمنون به ولايقدرون مواهبه، ويتعرض للسخرية عندما يشارك رفاقه فى اللعب، ويتهامسون عليه ضاحكين لطريقته فى السير. ويجمل الكاتب نظرة أهل القرية إلى محمود عندما يقول: «أصبح معظم أهل القرية ينظرون إليه نظرتهم إلى شخص عاجز لايستطيع أن يقوم بما يقدر عليه الآخرون»... (ص٢٤).

وهذه نقطة التحدى التى انطلق منها محمود:

«سأجعلهم يرون مقدار ما أستطيع أن أفعل.. أنا صاحب الساق العرجاء!» (ص ٢٦).

واستثمر محمود فرصة الاختفاء العجيب لصديقه سعيد، وزاده حماساً وإخلاصاً أن صديقه سعيد لم يسخر منه أبداً، بل وأنقذه ذات يوم من الغرق أثناء تعرضه للسخرية من أحد الرفاق.

أى أن الصغار أيضاً ـ وليس الكبار فقط ـ يسهمون معاً فى تأكيد عجز محمود، لذا سيتحدى محمود الكبار والصغار وصناع الأعمال الكوميدية الهابطة وسيؤكد للجميع أنه قادر ليس فقط على أن يجارى الآخرين، بل سيأتى بما لم يأت به الآخرون.

ولن يجد ظروفاً ملائمة لطموحه أكثر من ظروف الاختفاء العجيب لصديقه سعيد.

«ما إن لاح الفجر حتى تسلل محمود خارجاً من القرية يحمل معه كيساً من القماش به زجاجة مملوءة بالماء، وكمية من الخبز، وبعض قطع الجبن، ولم ينس عصاه الغليظة فالجبل به ذئاب وضباع وإن كانت لاتخرج عادةً إلا ليلاً، كذلك أخذ حبلاً ربما يحتاج إليه» (ص ٢٧).

وهذا الاحتشاد للرحلة، والاستعداد لها بالأدوات الملائمة، يؤكد المؤلف موهبة محمود، ليس فى إصلاح الراديو وتركيب أسلاك الكهرباء فحسب وإنما بالوعى الذى يناسب المهمة الطارئة التى استجاب على الفور لأدوات التعامل معها، وعلى نحو مانرى فى الحكايات الشعبية العظيمة نواجه مايقابل البطل من صعوبات فى الطريق قبل أن يصل إلى هدفه فيقابله الضبع وينتصر عليه، وتصادفه معوقات داخل المغارة لكنه يتجاوزها ويرفض أن يتراجع أمامها ، إن له هدفاً أساسياً هو إنقاذ صديقه، ثم إثبات وجوده فى مجتمع لايعبأ به، وينجح محمود فى إنقاذ صديقه وفى اكتشاف أثر فرعونى عظيم، ويقرر مع صديقه إبلاغ الجهات المختصة، وتكتم

الأمر حتى يكون فى هذا حماية لهذا الاكتشاف، وهكذا ينجح صاحب الساق المصابة فى أن يصبح بطلاً تشيد به الصحابة وتتردد الأحاديث فى القرية عنه وعن بطولته.

وهكذا تؤكد القصة أن العلة لم تكن فى ساق محمود وإنما كانت فى تلك النظرة القاصرة التى كانوا ينظرون بها إليه.

وتؤكد أيضاً أن هناك مستقبلا أفضل للأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة إذا قدمنا لهم يد العون، ومنحناهم الثقة، وهيأنا لهم فرصاً للإبداع.

معالجة الكاتب لقصته

● «سر الاختفاء العجيب»

البداية مع العنوان الذكى الذى يأخذ بتلابيب الطفل، والذى يحمل فى طياته غموضاً ساحراً.. والعنوان الذكى هو الذى يرمى شعاعاً فيسرع إليه المتلقى ويجتذبه، والعنوان الذكى هو الذى ينبىء ماوراءه أكثر مما تنبئ كلماته، ويثير لدى المتلقى وخاصة الطفل شجوناً خاصة، ويمنحه جرعة من الخيال قد تأخذه إلى تصور خاص به وتنشط لديه فعل الإبداع.

وإذا كان ذكاء العنوان فى كونه يحمل سحراً غامضاً فإنه يفقد جماله إذا كان شارحاً للعمل أو مفسراً له.. و «سر الاختفاء العجيب» من العناوين الذكية التى لاتنفصل عن النص ولا تشى بتفاصيله.

● تبدأ القصة من لحظة الذروة عند وصول فوج من الصحفيين والإعلاميين إلى محطة القاهرة؛ كى يستقلوا قطار الصعيد للوصول إلى مغاغة ومن ثم إلى قرية «شارونة» وهى مسافة كافية لنعرف خلالها

قصة الاختفاء العجيب، ثم يدعونا الكاتب لاستقبال هذا الوفد معه قبل الدخول إلى قرية «شارونة»، ويبدو لنا وكأن الحكاية هى الخيط الذى ربط بين القاهرة كمدينة عملاقة وبين شارونة تلك القرية الصغيرة، والبداية من النهاية من الطرق غير التقليدية فى القص، واتجاه الكاتب نحو استخدام أشكال جديدة فى الكتابة للطفل أمر جيد، فالطفل فى حاجة لإعمال العقل والتعرف على أساليب جديدة فى الحكى.

فالطفل يألف الجديد دائماً، وهو فى حاجة للتواكب مع التقنيات الحديثة ليس فى القص وحده ولكن فى مسايرة كل ما هو جديد.

- تقسيم القصة إلى فصول صغيرة كان موفقاً، وفيه لاشك تسهيل لعملية القراءة بحيث يشعر الطفل بذاته تتحقق كلما أنجز فصلا وخاصة أن كل فصل كان أشبه بمشهد سريع حافل بالتفاصيل المثيرة، كما أن بعض الأطفال يمكن أن يضيقوا من المساحات السردية الطويلة.
- لغة الكاتب يعقوب الشارونى فى مجملها لغة سلسة بسيطة فهو لا يبحث عن المنمق من المفردات ولكن عن المفردة التى تشى بالغرض وهى لغة طيعة جميلة.
- تؤكد القصة على مفهوم الانتماء، انتماء الطفل لوطنه وحبه للاكتشاف، ووعيه بأهميته بشكل يبعد عن المباشرة. كما يظهر انتماء الكاتب إلى جذوره فى قريته شارونة التى يتخذها مسرحاً للأحداث فى العديد من قصصه.
- لا تخلو قصص الأستاذ يعقوب الشارونى من معلومات قيمة، يقدمها لطفله بطريقة فنية وغير مقحمة، وهذا هو ماحدث فى «سر الاختفاء العجيب» سيعرف الطفل الكثير من المعلومات عن الانتماء وعن الآثار

باعتبارها ثروة قومية وعن القدماء المصريين، وكيف كانوا يشيدون مقابرهم، وإيمانهم بأن الميت يعود ثانية للحياة ومعلومات أخرى يقدمها الكاتب دون إقحام.

- تعد القصة انتصاراً لأطفال الأقاليم، إذ تؤكد أنه ليس من الضرورى أن ينتقل الطفل إلى القاهرة؛ ليكون إنساناً مختلفاً ومتميزاً، ولكن بتميزه يستطيع أن يشد العالم إليه وهو ماحدث عندما انتقل التليفزيون إلى قرية شارونة لتغطية حدث مهم بطله طفل من شارونة.

وأخيراً

تعد قصة «سر الاختفاء العجيب» واحدة من أجمل كتابات يعقوب الشارونى(*) التى قدمت صورة الطفل فى عناده وذكائه وقهره للصعاب، من خلال كتابة متميزة ولغة بسيطة سهلة، تجبر الطفل على مصاحبتها عبر مطالعة القصة، كما أنها أثارت مشكلة مهمة تتعلق بنظرة المجتمع للطفل المعاق، ثم جاء توظيف المعلومة فيها توظيفاً جيداً بعيداً عن لغة الخطابة والمباشرة.

(*) تجدر الإشارة أن الكاتب فاز بجائزة أحسن كاتب للأطفال عن هذه القصة وذلك فى المسابقة التى أقيمت عام ١٩٧٩ وهو العام الدولى للطفل وأعلنت نتائجها عام ١٩٨١ إذ فازت بالمرتبة الأولى من بين عشرات القصص والروايات التى تقدم بها كبار المؤلفين والكتاب لتلك المسابقة، والتى كانت قيمة جائزتها تساوى قيمة جائزة الدولة، وكانت الدكتورة سهير القلماوى رئيسة لجنة منح جوائز الدولة لأدب الأطفال هى رئيسة اللجنة التى منحت الشارونى جائزة أفضل كاتب للأطفال.

• مشكلة الحرمان من اللعب

« لعبة صباحية خطرة »

من حق الطفل أن يلعب، وحقه علينا أن نوفر له مكان اللعب وأدواته إن أمكن، وحين يفتقد من يشاركه اللعب مارسناه معه، فالطفل حينما يلعب يقيم عالماً خاصاً، ويختزل العالم أمامه، ومن خلال اللعب يمكنه أن يزرع ويحصد، ويبنى ويهدم، ويحارب، ويدافع عن مملكته التى أقامها، كما أنه يشارك فى مناسبات اجتماعية من خلاله، ويمكنه أن يكون ضابطاً يتعقب اللصوص، أو طبيباً يعالج المرضى، يشق الطرق وينظم المرور، ويمكنه أيضاً أن يتواصل مع العالم الخارجى من خلال طائرة يطيرها إلى الجهة التى يريدها.. باختصار إنه يشارك فى نسق الحياة وإعادة صياغتها، ويمكننا أن نستثمر اللعب فى تشكيل الطفل وصقل مواهبه.

لقد أصبح استثمار اللعب لدى المتخصصين هو الشغل الشاغل باعتباره مدخلاً ممتعاً إليه وحينما نسلب حق الطفل فى اللعب فإننا نسلب معه حقه فى بناء نفسه بشكل صحيح.

ولأهمية اللعب فى تكوين الطفل وتربيته فقد أشار إليه القرآن الكريم فى سورة يوسف «أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنّا له لحافظون» [يوسف ١٢].

وتختلف وسائل اللعب من بيئة إلى بيئة، وتكتسب اللعبة طابعها من مدى ارتقاء صانعها، الذى يستمد رقيه من الحضارة التى ينتمى إليها.

وعندما يفتقد الطفل اللعب بسبب القهر الاجتماعى فإنه يمارسه رغماً عن الجميع، وهو مانراه عند بطل قصة «لعبة صباحية خطرة» للأستاذ يعقوب الشارونى فبطل القصة هو أحد المحرومين من اللعب ومتعته، بسبب عمله طوال النهار فى توزيع اللبن، فليس لديه وقت للعب، خاصة أنه يستيقظ مبكراً ويركب دراجته بعد أن يضع فوقها الأوعية المليئة باللبن، وينطلق، وأثناء انطلاقه للعمل يروق له أن يلاعب الكلاب الثلاثة التى اعترضت طريقه، يراوغها ويشاكسها، ويخرج فى النهاية من بينها منتصراً تجلجل ضحكته وتلاحقه الكلاب دون جدوى، ولايبقى لها سوى نباحها «كأنه ثرثرة بلا فائدة».

ثم نراه أثناء انطلاقه سعيداً كأنه قد أحرز هدفاً، ولأنه ليس له جمهوره الذى يشجعه، فإن ضحكته المجلجلة يمكنها أن تؤدى الغرض.

وهنا قد يتعرض الطفل نفسه للخطر، وقد يرى المتابع للمشهد أن معركته مع الكلاب لا فائدة منها، وأنه ليس من الضرورة أن ينتصر بائع اللبن الصغير فى كل مرة، لكنه مع ذلك لن يكف عن ممارسة اللعبة رغم خطورتها، لقد فقد حقه فى اللعب وهو لن يكتفى بـ «نظرة» على من يلعبون ثم يمضى، على النحو الذى فعلته الخادمة الصغيرة فى القصة البديعة «نظرة» للرائع يوسف إدريس والتى كانت خارجة لتوها من الفرن، تحمل صاجاً ساخناً لسيدتها ويوشك أن يقع منها، لولا مساعدة الراوى الذى لم يسمع منها سوى كلمة «ستى» ونفهم أنها تخشى عقابها ويتابعها الراوى حتى تختفى لكنها قبل أن تختفى تلقى نظرة على الأولاد وهم يلعبون، نظرة لا تستغرق سوى لحظة، التقطها الفنان، لقد اكتفت الصغيرة بهذه النظرة، وجهتها إلى المرح الجميل الذى لاتعرف عنه شيئاً والتى حرمت منه.

لكن بطل قصة «لعبة صباحية خطرة» لم يرض بالمشاهدة، وليس فى حاجة لإلقاء نظرة قد تصيبه بالحسرة، لكنه سيمارس حقه فى اللعب على طريقته، حتى وإن جاء هذا الحق على حساب راحة الناس وأمنها، فالناس هم المجتمع، ولعلهم أسهموا بشكل أو بآخر فى حرمانه من اللعب، ومع ذلك فهو فى خدمتهم ينطلق بدراجته ليقدم لهم اللبن الحليب.

لكن كيف تتحقق اللعبة، واللاعب لايوجد له ملعب، ولا توجد له وسائل للعب ولا حتى الوقت، إذاً فليكن الطريق، أما الوقت فحينما يكون الشارع هادئاً فى الصباح الباكر ويكون فى طريقه إلى عمله، قبل أن يستهلك العمل جزءاً من قوته.

تبقى المشكلة فيمن يشارك، فاللعب تتحقق متعته بالمشاركة، وليس هناك من يشارك صاحب اللعبة الصباحية لعبته، فلتكن الكلاب إذاً، والهدف الذى يحققه سيكون هدفاً غالياً فخصومه يتسلحون بالشراسة، وهكذا تخرج الطاقة الكامنة من أعماقه.. ليس مهماً كيف.. المهم أن يلعب ويمرح، وتلك هى حياة الطفل.

ومما يلفت النظر أن بطل قصة «لعبة صباحية خطرة» ليس له اسم فى القصة، بما يعنى أن ذاته غائبة فى النص، وبما يعنى أن النص قابل لكل الأسماء التى تتشابه أحوال أصحابها مع حال هذا الصبى.

• شجرة تنمو فى قارب

يواصل الأستاذ يعقوب الشاروني سعيه الدائم نحو معالجة المشكلات التي تواجه أطفالنا، يتعقبها بقلمه، هو يعرفها جيداً، ويعايشها، ويختزنها في أعماقه لتخرج في ثنايا كتاباته ناطقة ونابضة بالحياة، الآن ندخل إلى عالمه من خلال رواية جديدة من رواياته، سيكون بطلها طفلاً، ويكون هذا الطفل في مأزق، ويصبح المأزق أمام الصغار والكبار، ما الذي يجب أن يفعله البطل الصغير تجاه مايرى من صدام الواقع، وماالذي يجب أن يفعله الكبار مساهمة في حل العقدة.

شجرة تنمو في قارب

هل حقاً تنمو الأشجار في القوارب، ياله من عنوان شعري محلق، خاصة إذا كانت هذه الشجرة طفلاً، والقارب هذا في النيل، حتماً يكون النماء ويكون الخصب مهما كانت ضبابية الواقع.

الآن نحن مع شاب صغير يدعى «خالد» أحد سكان القوارب بل ولد في القارب، وعالمه حيث يمتد النهر طويلاً، يهدهده القارب ويحنو عليه النهر، ومرساه تحت كوبري عباس بين الجيزة وجزيرة الروضة، وحاجته يقضيها عند التقاء قاعدة الكوبري بالشاطئ، يرى العمارات الشاهقة والبنايات العالية، ويشع الضوء عالياً فيومض في عينيه، المدينة عنده بمثابة مغارة

على بابا، لغز يتمنى لو يجد له حلاً وينفتح له بابها، يحاول أن يتخيل شكل البيوت من الداخل ماذا تعنى الحجرات بداخله، يتطلع إلى الأولاد وهم ذاهبون إلى المدرسة فيدهشه منظرهم، ويبدو هو لهم كائناً غريباً، يحلم أن يمتزج معهم وأن يوحد معهم طموحه وأمله، وأن يؤمن الآخرون بأحقية سكان القوارب فى التطلع إلى الجديد، هى مشكلة «الطفل العامل» إذاً، وإن كان الطفل العامل قد تحصن هنا بوعى مختلف فعرف أين تكمن سراديب المدينة وأوكارها وجحورها العميقة، ويحاول أن يحتال على المواقف الصعبة بدهاء اكتسبه من المعاناة ويراوغ الشر حتى يسلم منه.

«خالد» شارعه النهر، اكتسب شيئاً من عبقريته، والاسم من خلوده، والبساطة من انسيابه السهل، والصدق من طابعه، وها هو يمد ذراعيه محاولا التعانق مع المدينة والتواصل معها، وها هو يقترب من تجمعات الأطفال عند المدرسة، وبقلبه الشفاف يحاول أن يلتقط شيئاً فهل استمع إليه أحد، لقد عرف أن السر الذى يجمع الأطفال فى منظر بهيج هو كلمة «مدرسة».

وتحنو المدينة هذه المرة ويمد الصيدلى يده لخالد، ويدور حوار بينهما ويعرض عليه الصيدلى أن يعمل معه، وبعد تشاور درامى مع الأب والأم، هاهو خالد يعمل فى الصيدلية، وهاهو راوى القصة الذى نعرف فى النهاية أنه كاتب كبير قد يكون هو يعقوب الشارونى نفسه، يدخل إلى الصيدلية ويعطيه الصيدلى الدواء خطأ، ويكتشف خالد الخطأ، وينبه الصيدلى. لم يكتشف خالد الخطأ لأنه يجيد القراءة بالإنجليزية ولا حتى بالعربية، ولكن بقوة الملاحظة التى اكتسبها من عبقرية النهر ومعايشته له وللقارب، ينقذ

والد الراوى، إذاً خـالد لايقرأ ولا يكتب، ومن هنا يطرق الشـارونى مشكـلة خطيـرة تواجه مجتمعـنا وهى مشكلة الأمية وخاصة أمية الصغار.

وخالد لم يدخل المدرسة، وليس له حتـى شهادة ميلاد، فعنوانه النهر وبياناته فى القارب، ومتعلقاته أسفل الكوبرى، لكن بمعاونة الصيدلى الذى يمثل رمزاً من رموز المجتمع، والكاتب الكبير الذى يمثل ضميره، تكون المساعـدة لينفلت خـالد من قبضة النسيان، وهكذا يعايش الأستاذ يعقوب الشـارونى مشكلات الطفل، يتـعقبـها أينما كـانت، لو كـانت فـى قـارب، أو توارت أسفل كوبرى يحزم ضفتى النهر.

وتنتـهى الحكاية بأن يتعلم خـالد ويحصل على الإعدادية وهو يعمل فى الصـيدلية، ويحـصل على الشهـادة الثـانوية نظام طلبـة المنازل، وتنبأ له الراوى بأن يكون له شأن كبير فى المستقبل، ولن يندهش إن حـصل خـالد على الدكـتـوراه أو حـتى أصـبح وزيراً، وهنـا يكون الإيمـان بقـدرات الطفل وتوظيفها بشكل صحيح، وفى النهاية تكون الجائزة.

وهكذا طرحت القصـة مشكلتين: الأولـى مشكلة الطفل العامل سواء كان بيته القارب أو الشارع، والمشكلة الثانية مشكلة الأمية.

حل المشكلة الأولى

المشكلة الأولى قام بحلها الصيدلى الذى انتشل خالد من هامش المدينة واستعان به فى العمل، وحـرص المؤلف أن يكون العمل خـفيفاً، بل ويسهم فى إكسـاب الطفل بـعض المـهـارات والقدرة على المقـارنـة والموازنة فـهو يكتشف خطأ الصيدلى الذى يخدعه الشكل الواحد لعلبتى دواء مـختلفتين، واخـتيار المؤلف لهذا العمل ناتج عن خبـرته ومـعرفـتـه بمشكلة عمـالة الأطفال، وعمل خالد بالصيدلية لايمكن أن يعرضه للتعب أو لأى نوع من القهر الاجتماعى الذى يمتهن براءة الطفل فى سنواته الأولى.

حل المشكلة الثانية

يقوم بحلها راوى القصة وهو الكاتب الكبير الذى يتبنى خصائص مرحلة ماقبل القراءة، فإذا كان الصيدلى قد عالج جزءاً من مشكلة خالد بتوفير فرصة عمل وإكسابه جانب الخبرة فى التعامل ورغب فى تعليمه، فإن الكاتب المؤلف عرف كيف يأخذ بيد طفله إلى عالم القراءة والكتابة مستخدماً الأسلوب الحديث والكتب المليئة بالأشياء التى يعرفها خالد ويؤكدها الصوت والصورة.

وهنا نتعرف على الطرق الحديثة فى التعليم، وهى طرق تعطى المتعة قبل المعلومة.

وهكذا نرى الشارونى ملماً بأركان المشكلة التى يطرحها. عارفاً بها، بل ولديه تصوره لحل هذه المشكلة، ولاشك أن المعرفة شرط جوهرى من شروط الكتابة، وخاصة الكتابة للطفل، ويضرب الكاتب مثالا من داخل قصته.. خالد بطل القصة يطلب منه فى الامتحان أن يكتب ستة أسطر عن «غرفة المائدة».

ولأن «خالد» طفل نشأ خارج البيوت العامرة بالموائد، ويرى هذه البيوت لغزاً كبيراً، فلم يكن لديه مايعرفه عن «غرفة المائدة» وبالتالى لم يكتب شيئاً، لكنه حاول أن يعرف فيما بعد..

وعندما طلب منه فى امتحان آخر أن يكتب عن النيل، رأينا خالدا يكتب بجوارحه، ويقدم موضوعاً متميزاً، فقط هو نقل على الورق يوماً واحداً من معايشته للنيل، النيل الذى عايشه وعشقه كثيراً.

إذاً الكتابة الناجحة هى الكتابة التى يلم صاحبها بتفاصيلها وخلفياتها، وهنا نرى وعى كاتبنا ومعرفته الواسعة بكل مشكلة يكتب عنها، وما أجمل أن يكتب الكاتب عما يعرفه ويألفه ويعايشه.

إن هموم الطفل فى طليعة اهتمام الشارونى، وهى عنده تساوى الفن، له رسالة مهمة يعرفها، وترى هموم الطفل واضحة عبر إبداعاته، يقدمها الكبار على مائدة البحث، ويقدمها كمرآة للطفل كى يرى فيها نفسه ويسجل ملاحظاته، وأحياناً فى قصة واحدة تجد أكثر من مشكلة، لكنه لايدعها تفلت من قبضته، هو يعرف بالضبط إلى أين يذهب، يرى طفلنا محاصراً بعشرات المشاكل ويرى أن له دوراً كبيراً ومسئولية أكبر، من هنا كان لابد أن يكون راوى القصة هو الكاتب المثقف الذى يكتشف الطفل لدى الصيدلى.

غير أن الراوى لايدعى أنه قد انتبه إلى الطفل وحده، إنما هو نبوغ الطفل وقدرته على التمييز وكشفه لخطأ قاتل، وهو انتصار لذكاء الطفل.

إذاً شخصية الراوى فى القصة تمثل عضبًا للرواية، مع أن الراوى نفسه أعطى عن طيب خاطر البطولة للطفل، وهيأ له الفرصة لإظهار مكنوناته، وترك له مساحة تهيئ الطفل لإثارة الدهشة، لكن راوى القصة هو الذى فجر نقطة البداية وألقى نفسه فى قارب الحكى، وشارك فى الحدث باقتدار، عن طريق مساعدة الطفل حتى جاوز به حيز النسيان «كنت أقضى معه ساعة من فترة المساء ثلاث مرات أسبوعياً».

ولايدعنا الراوى دون أن يبشرنا بأن الولد سيكون له شأن، وهى نهاية تتفق مع البداية التى لاحظنا فيها نبوغ الولد، وكان بوسع الكاتب أن يصل بنا إلى حيث يحقق الطفل هدفه بعد أن يكبر لكنه هذه المرة فضل أن يبشر.. وهو واثق لما يبشر به، إذ أن رفاق «خالد» من سكان القوارب وشكان الشوارع أو حتى القرى والعشوائيات يقف معظمهم عند هذا الحد، وهو يريد أن يواصلوا جميعاً كفاحهم وأن تمضى خطاهم مع خالد إذ أن المشوار لايزال طويلا.

شجرة تنمو فى قارب.. هى امتداد لأسلوب الأستاذ يعقوب الشارونى البسيط الذى يقدم المفردة الفصيحة التى يسهل على الطفل معرفتها دون حتى أن يسأل، بل هو يجيب عن الصعب من الكلمات داخل القصة، وسواء اتفقت أو اختلفت مع هذه الطريقة فإنك تتقبلها عن طيب خاطر، لأن التفسير لايقف حائلا دون تدفق السرد.

مثل قوله «وسألت والدى: مامعنى صيدلية؟».

قال لى: «هى الأجزخانة التى يشترى منها الناس الدواء»، أو كلمة «جلباب» عندما يضع مقابلها فى العامية بين قوسين «جلابية».

استخدم الكاتب تقنية حديثة من تقنيات القص وهى انتقاله بين الشخصيات بسهولة، فكل شخصية لها صوتها، تتولى الحكى فيما يخصها، وتكتمل القصة بأصوات مختلفة فالصيدلى والراوى وخالد يكملون معاً بناء القصة، وهذه الطريقة تسهم فى كسر حدة الاسترسال، وتخفف من ضغط السرد المتواصل على الطفل المتلقى.

يبقى ملمح مهم وهو يتعلق برؤية يعقوب الشارونى للمستقبل وأمله فى التطور والتجدد الدائم بما يتلاءم مع «روح العصر»، دون أن يأتى ذلك على حساب الأصل فى الشىء وإنما هو تطوير وامتداد له.. ويبرز ذلك جيداً فى «شجرة تنمو فى قارب» ويمكن الإشارة إلى ذلك فى عدة نقاط.

يقول خالد: «لم يعد صيد السمك هو مهنة أبى الرئيسية بعد أن اتفقت معه وزارة الرى على أن يشترك مع زملائه الصيادين فى جمع نباتات ورد النيل المتراكمة على سطح الماء أمام الكوبرى ونقلها إلى الشاطئ»، هنا لم يتخل والد خالد عن مهنته الرئيسية - الصيد - وإنما أضاف عملا مهماً يعالج مشكلة تهدد سريان ماء النيل الذى يتعامل معه الصياد.

ترك خالد للقارب والنيل ثم الانتقال إلى رحلته مع العمل والتعلم ليس معناه أنه قد انسلخ عن النيل، إنما بقى عشقه له، فعندما طلب منه الأستاذ أن يكتب عن النيل، أبدع «خالد» لأنه يكتب عن شيء يحبه ويعشقه.

عندما أراد الراوى وهو الكاتب الكبير أن يعلم خالدا، استخدم معه أحدث الأساليب العلمية، واستخدام الكتب التى تتعامل مع الحواس دون أن يهمل الطريقة الأصلية فى تعليم الحروف.

يرى الكاتب أن من صميم هذا التطور هو التعلق بالكتاب، وللكاتب رأى يذكره كثيراً ونتفق معه فيه بأن الكتاب سيبقى رغم التقدم التكنولوجى بدليل أن الدول التى سبقتنا فى مجالات التكنولوجيا توزع من نسخ الكتب أعلى المبيعات.

وعليه سنرى خالداً فى نهاية القصة وقد جلس فى الصيدلية، وقد أعطى ظهره للتليفزيون، وانهمك فى قراءة كتاب.

وهكذا نجد معايشة الأستاذ يعقوب الشارونى لعالم الطفولة ومتطلباتها وخصائصها من خلال مايطرح من إبداع.

● البنت منيرة وقطتها شمسة

عندما نقرأ هذه القصة الجميلة التى كتبها الأستاذ يعقوب الشارونى فى نوفمبر ٢٠٠٢ سنكتشف أن هناك امتزاجاً بين الطفلة منيرة وبين القطة شمسة، وتظهر ملامح هذا الامتزاج فى الأنوثة/ القهر.

منيرة طفلة قروية مات أبوها، وتزوجت أمها من بعده، ويعاملها زوج الأم معاملة قاسية، انتهت بهروبها من هذا القهر، وخرجت الأم للبحث عنها.. أما منيرة فيتلقفها مسعود أفندى ويعرفها على أسرة يحتاج كبيرها إلى خادمة، لكن الأسرة لاتتعامل معها على أنها خادمة ولا كبير الأسرة نفسه.

القطة شمسة

تنتمى إلى تلك القطط التى تراها تعبر الشارع، قد تدوسها العجلات وقد تفلت منها إلى مصير أقوى من الموت.

تصعد السلم [فى أية عمارة] شأنها شأن القطط، تلتمس شيئاً من الطعام عند أبواب الشقق، قد تفتح لها الأبواب، وقد يضربها آخرون على نحو مارأينا الجار قاسى القلب الذى ضربها بقدمه - لعله نفس الجار فى قصة [قليل من الراحة فوق السلالم] أو من يشبهه.. وتتعلق القطة بباب الشقة

التى تقطنها منيرة.. الجار القاسى يحذر منيرة أن تتعاطف مع تلك القطة، إذاً الباب الذى انفتح لمنيرة هو نفسه الذى فتحته منيرة للقطة والاثنتان هاربتان من قهر يلاحقهما، ونرى الخوف والحذر والترقب الذى نلمسه من شمسة هو نفس الخوف والحذر والترقب الذى لمسه صاحب البيت فى تعامله مع منيرة فى بداية الأمر، وسنرى القطة شمسة فى البداية تتعلق بالباب وتحدث صوتاً، وليس بوسعها سوى أن تموء، وسنرى منيرة هى الأخرى فى بادئ الأمر لا تتكلم:

«كأنما تنتمى إلى عالم آخر لاتعبر عن نفسها بحديث أو بكلمة ولا بأى انفعال قد يظهر على ملامح وجهها.. إنها صندوق مغلق ضاع مفتاحه».

وبعد مانقرأ القصة وتصلنا أحداثها، ونعايش شخوصها سنرى أن المفتاح لم يضع، فلم تكن القطة شمسة سوى المفتاح لذلك الصندوق المغلق، فلم تستجب منيرة لدعوة سيدها فى التعلم ومعرفة الحياة الجديدة، لكنها استجابت للقطة ونداءاتها، فالتوحد الذى حدث بينهما كان كافياً لأن يجمعهما، وكأن منيرة قد نظرت فى المرآة، لقد رأت وجهها جيداً فى هذه القطة، وخاصة فى ذلك المشهد الذى تعرفه جيداً، مشهد الجار وهو يدفع القطة بقسوة ويحذرها منها، وكانت البداية لاستمرار هذا الامتزاج، وفى الوقت الذى كانت تقترب فيه شمسة من عالمها الجديد، كانت تدفع معها منيرة إلى عالمها الجديد - أن يكون لها صوت ويسمعه الجميع.

ويكتسب هذا الصوت أهميته بعد ذلك فى حرصها على التعلم، منيرة كانت تتعلم من أجل شمسة فعندما تتعلم ستعرف طرقاً مناسبة لرعاية شمسة، وستقرأ عن عالمها الذى هو عالم القطط، ثم يأتى ذلك الامتزاج القوى عندما ترى منيرة فى قطتها رمزاً لحياتها فى القرية، لكن حياتها

التى أحبتها فى القرية وخلت من القسوة التى عاشتها حياة فطرية جميلة نقية نقاء عباد الشمس فى روعته واستدارته، وقد تذكرت عباد الشمس بالتحديد؛ لأن لون فراء القطة كان فيه خليط من اللون الأصفر البرتقالى والبنى، ولأن القطط تعشق الأسماء البسيطة الخفيفة والخالية من التعقيد، فلتكن قطتها «شمسة» وكأن شمسة كانت نقطة بداية منيرة فى القرية، وقوة الدفع نحو المستقبل، وبقدر ماكانت تقترب منيرة من شمسة كان اقترابها من أفراد الأسرة يتحقق تدريجياً، لقد عانت منيرة من ويلات القهر، وعضها الجوع كثيراً، ولن تقبل أن تواجه شمسة نفس المصير، لقد مارست منيرة أمومتها مع شمسة.

«لن أتركك تشعرين بالحرمان من اللحم كما كان يفعل معى زوج أمى.. مرة تكون قطعة اللحم لك ومرة لى إلا إذا كان هناك سمك فنأكل منه نحن الاثنين».

ولأول مرة نرى منيرة تسأل صاحب البيت عن السمك، بل وتسعى جاهدة حتى تعرف أن هناك محلا قريباً، وكأن شمسة كانت تساعد منيرة فى انطلاقها نحو العالم ومعرفتها بالمكان الذى ترتبط به فى النهاية رغم وصول أمها، فرغم فرحتها بلقاء الأم إلا أنها أصرت أن تبقى بالمكان، فالمكان قدم لها كل ماتريده، وأظهر قدرتها على مسايرة الحياة، صاحب البيت رجل طيب، والبيت حافل بالكتب المليئة بصور الحيوانات.

ويرتبط «المكان ـ البيت» بعلاقات أسرية دافئة تصب فيه باستمرار كما أن هذا المكان شهد بزوغ رغبة التعلم لديها، وعاشت فيه طفولة افتقدتها، ومارست أمومة تنتظرها مستقبلا من خلال اهتمامها بالقطة.

والجميل إننا نرى نموذجاً لتوحد الطفولة بالقطط، والذى يكتشف علاقة منيرة بالقطة هى الطفلة الصغيرة «نورة» التى يبهجها أن ترى القطة.

وحين يدوس صاحب البيت على القطة عن طريق الخطأ ذات مرة تعضه القطة، ويصدر قراراً بترحيلها، غير أن الامتزاج القائم بين منيرة والقطة هو الذى جعله يراجع نفسه ويربت على كتفها بحنو وهى تبكى:

«لن يطردك أحد من بيتك يامنيرة.. ولن يطرد أحد قطتك».

فأى طرد لأى من الطرفين يعد طرداً للاثنتين، وهكذا نجد أنفسنا أمام نص يمنحنا قدراً من التواصل مع عالم الطفولة، ويجعلنا نعايش مظاهر قمع الطفولة فى مجتمعنا.

غير أنه نص يعطينا الأمل فى تدارك الخطأ، مادام لدينا القدرة على المشاركة فى هذا التوحد على النحو الذى رأيناه من تلك الأسرة الجميلة التى فتحت أمام طفلة تعيسة عالماً جديداً أعاد إليها ثقتها فى قدراتها فبادلت المجتمع عطاء بعطاء.

● «أم ياسمين» وبناتها
مشكلة جديدة في قصة قصيرة

فى الساعة السابعة والنصف صباح كل يوم تقف سيارة نصف نقل عند زاوية أحد البيوت، وتنزل امرأة فى الثلاثين، ترتدى الملابس الطويلة الواسعة، وعلى رأسها منديل أسود اللون، جمعت شعرها تحته بغير عناية، وخلفها نزلت بناتها الثلاث، الصغيرة فى العاشرة وكل واحدة تكبر الأخرى بسنة..

هكذا يبدأ الأستاذ يعقوب الشارونى قصته «أم ياسمين» ويقدم لنا هذا المشهد بزمانه ومكانه حريصاً على التفاصيل والألوان المعبرة..

الساعة تضبطها على السابعة والنصف أى هناك نصف فى التوقيت، والسيارة هى الأخرى نصف نقل، والمرأة تنزل من السيارة بملابسها الطويلة الواسعة، ولون المنديل فوق رأسها أسود، وشعرها مجموع تحته بغير عناية، وخلف هذا المشهد الحافل بالحركة القاتم اللون، المعبر فى تفاصيله الدقيقة نرى الثلاث بنات فى مواجهة مع واقع زاخر بالتعب والألم..

وينتقل بنا الكاتب المبدع يعقوب الشارونى بعد ساعة لينقل لنا مشهداً آخر أو ربما هو ذات المشهد بعد أن يتسع الكادر لنرى الأم تبيع الخضراوات، وأيضاً لاينسى الكاتب أن يرص بضاعتها عبر سطر كامل

لتصبح الصورة أكثر بروزاً، ولكى يعطى فرصة للألوان كى تساعد فى رسم الصورة: باذنجان/ فاصوليا/ ملوخية/ طماطم/ جرجير.

ولأن أم البنات أو أم ياسمين ـ كما جاء فى العنوان ـ تمنحنا الجديد مع كل دقيقة منذ نزلت من العربة، سنراها الآن وقد استقرت على الأرض، وسيكتشف الراوى أنها أرقدت بجوارها طفلاً لم يره من قبل.

هنا يأخذنا الكاتب بعد تلك المشهدية الحافلة بالتفاصيل الزاخرة بالنمنمات إلى صلب المشكلة وعمقها، إننا أمام ثلاث بنات صغيرات جئن للعمل، وستكون ساحة العمل الرصيف، ويفجعنا الكاتب بذلك الرضيع الذى بدأ يتحمل آثار هذا العمل قبل فصاله.

غير أن البنات حيال هذا الوضع لاتقفن مكتوفات الأيدى، بل يقمن بتنسيق الأقفاص فى محاولة لإعادة الأمور إلى نصابها بالحركة، يصنعن شبه دائرة حول الأم والرضيع، وتبدأ النوافذ والشرفات تنفتح، بعد أن تنتقل الكاميرا إلى واجهات العمارات، تأتى صيحات شتى لتصل إلى مركز الدائرة:

«ياأم ياسمين».

إنها صيحات السيدات الساكنات فى الأبراج العالية، السيدات يخاطبن الرصيف، يطلبن من تلك البضاعة: باذنجان/ فوصوليا/ ملوخية/ خيار/ طماطم/ جرجير.. يطلبن من ارتفاعهن الشاهق..

وتبدأ الدائرة حول الأم فى الذوبان، وتصعد الصغيرات إلى السلالم، تماماً مثل ذلك الصبى الذى طالعناه فى قصة «قليل من الراحة فوق السلالم».. فالطفولة ذكراً كانت أم أنثى فى سوق العمل سواء، البنات

الصغيرات يصعدن لأعلى، يسلمن الخضراوات ويقبضن النقود، وتظل أم ياسمين فى مكانها ترسل خيوطها إلى الأبواب المفتوحة والشرفات...

«ياأم ياسمين»..

ويصل النداء وتكون الاستجابة، والرضيع لايزال بجوارها، والبنات يسرعن للصعود إلى السلالم العالية، إنها صورة تتكرر دائماً.. وإذا كان الراوى يرى أن تلك المشاهد تتبدى فى السابعة والنصف صباحاً، فقد تتداعى قبل ذلك أو بعد، المهم أنك ستجد تلك السيدة كثيراً على ناصيات الشوارع يفترشن الخيش، ودائماً الصغار يتحلقون، ربما كانوا فى حالة حركة وانسجام مع المشهد الدائرى، وربما بدا أصغرهن نائماً بل مستغرقاً فى نوم عميق.

إذاً الكاتب هنا يريد أن يقف ضد تلك القسوة التى تمارس مع الصغار، أولاداً كانوا أو بنات، لكنه لايريد أن يصرح بهذه الإدانة، ويريد أن يكون محايداً، يلتقط الصورة من بعيد لكنها تأتى كاملة داخل الإطار.. ما عليه إلا أن يضغط على زر الفلاش، ويمنح المنطقة التى يريدها قدراً من الضوء فيرتكز على صنع المشهد الذى يشتمل على عناصره الداخلية والخارجية، فى محاولة لانتزاع الإدانة منك دون ضغط ظاهر أو إلحاح.

ولأن الراوى أحد ساكنى هذه المنطقة فلابد أن تصعد إليه إحدى الصغيرات، ولأن الراوى أيضاً يهتم بالطفولة وتشغله هواجسها ومشكلاتها، فكان لابد أن يقدم النص فرصة للقاء، وإن كان اللقاء لن يحل شيئاً، وإنما كان الهدف هو تفجير القضية:

ـ مبسوطة ياياسمين من بيع الخضار؟

ـ الحمد الله.. الخير كتير.

ويتعرف الراوى على أختها الصغرى التى كانت ترافقها عندما قالت:

ـ المستقبل خلاص.. لقد كتب كتابها، والدخلة الأسبوع القادم!!

وهنا تركنا النص أمام مشكلة جديدة من المشكلات المطروحة فى ساحة الطفولة، وهى تزويج البنات فى سن مبكرة ومايترتب على ذلك من أضرار.. الكاتب يمنحها لنا فى السطر الأخير غير مستطرد معها، وكأنه يقول إن الصغيرة المسكينة لاتعمل فقط، بل سيزوجها أبوها فى الأسبوع القادم، ولو أضاف الكاتب كلمة جديدة للنص لقال:

ـ تصدقوا!

أو: هل تتصوروا؟!

يأبى الكاتب أن ننصرف من ساحته قبل أن يضع على أكتافنا مشكلة جديدة من مشكلات الطفولة، وكأنه يقول لنا: فكروا فيها حتى تعودوا إلىّ أو أعود إليكم بنص جديد يتناول هذه المشكلة، أو ربما مشكلة أخرى، وهذا يبين إلى أى مدى يهتم الشارونى بمشكلات الطفل إلى حد الامتزاج والانصهار معه.

* * *

ولأن هذه المشكلة بالتحديد تشغل كاتبنا بشكل كبير، فقد حاول النبش والبحث فى دوافعها من خلال بحث قيم له بعنوان «الأنشطة التعليمية والثقافية والترفيهية للطفل العامل»، والذى نشر فى مجلد المهرجان الثانى لفنون طفل الصعيد عام ٢٠٠١ ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ فرع المنيا..

ذكر فيه أن الظروف الاجتماعية والثقافية لبعض الأسر الفقيرة أدت إلى انخفاض وعيهم بأهمية التعليم، وضرورته لإيجاد مستقبل أفضل لأبنائهم، وانساقوا وراء النظرة القصيرة المدى التى تفضل تعلم أولادهم صنعة يتكسبون منها بدلاً من الرؤية المستقبلية البعيدة المدى لأهمية التعليم.

كذلك فإن من أهم أسباب تسرب هؤلاء الأطفال من التعليم واتجاههم إلى سوق العمل، قيام نظامنا التعليمى الحالى على مناهج منفصلة عن الواقع الفعلى، تفتقد الارتباط بين الجانب العملى والنظرى مما يحدث فجوة فى الجانب العملى الذى تحتاج إليه بشكل مباشر وسريع أسر الأطفال العاملين والفقراء.

وهكذا يظهر انحياز الشارونى لهذه الفئة المظلومة التى حرمت من التعليم وأجبرت على العمل.

ومهما اختلفت الآراء وتعددت حول الدوافع التى أسهمت فى استفحال مشكلة عمالة الطفل، فإن اهتمام الشارونى يبدو واضحاً بالمشكلة فى إبداعه وأبحاثه ومعايشته للطفولة، خلال اقتراب فعلى بعيداً عن الطلاء الكاذب.

* * *

وتبقى المشكلة التى ألقاها الكاتب فى جملته الأخيرة، وهى تتعلق بتزويج الفتاة فى سن مبكرة.

يأتى تعاطف الكاتب مع أم ياسمين وصغارها، فاسم «ياسمين» بما يحمل من دلالات تعبر عن رائحة الخير الآتى على قدومهن، وهو ماعبرت عنه ياسمين نفسها للراوى:

ــ الحمد لله.. الخير كتير.

تأكيداً على قدرة البنت على تحمل المشاق، وصلابتها فى مواجهة الصعب.. تشيع البهجة والحركة على قدوم أم ياسمين وأولادها، فتنفتح الأبواب والنوافذ والشرفات، وتكثر النداءات، وتبدأ الصغيرات فى الصعود والنزول لممارسة أعمالهم الصعبة.

«ياسمين» أعطاها الكاتب اسماً دون غيرها، ربما لأنها هى التى ستواجه الذبول فى نهاية القصة حينما نعرف أنها ستتزوج فى سن الطفولة!

إظهار الوعى الذى تمتلكه الأخت الصغرى لياسمين بطبيعة المشكلة، بل والقدرة على التهكم من الواقع.. بشكل فنى.. حين تقول للراوى:

ـ المستقبل خلاص!

ثم تخبره بأن «ياسمين» كتب كتابها وأنها ستتزوج، ومايؤكد هذا الوعى أن الأخت الصغرى قالتها كمن تقول خبراً سيئاً.

أكدت القصة على أهمية التعليم باعتباره النافع فى المستقبل، ورغم إدانة الكاتب لتشغيل الأطفال إلا أنه ـ فى القصة ـ لم يقلل من صورة العمل، وإنما رسم لوحة فنية رائعة تصور أم ياسمين وأطفالها وقد صاروا بالعمل فى أجمل صورة وكأنهم بعثوا الحياة فى الشارع كله ونشروا فيه البهجة والحياة. وتظل قصة «أم ياسمين» لكاتبها يعقوب الشارونى واحدة من القصص المهمة التى دخلت إلى مشكلات الطفل برؤية تنم عن معايشة واقتدار.

● الوقوع فى الممنوع

مشكلة تطرحها

«مذكرات طفل»

«من مذكرات طفل» واحدة من أجمل القصص العربية التى تناولت إحدى مشكلات الطفل، للكاتب المبدع يعقوب الشارونى، والصادرة عن مكتبة مصر ضمن سلسلة «ألف حكاية وحكاية» وهى سلسلة تحتاج إلى دراسة مستقلة لسنا الآن بصددها..

القصة تبحث فى شخصية الطفل العربى المستلب، توغل داخله فنراه مهزوماً ضعيفاً، لايدعه الأب يفكر ويخوض التجارب ويتعرف على العالم من حوله، وإنما يلاحقه بسياط النهى «لاتصعد السلم».. لاتفعل كذا.. ولاتفعل كذا، وعندما تتأمل تلك الممنوعات لاتجد فيها مايشين، ابتعد عن الدجاجة، ممنوع صعود السلم، ممنوع رؤية الكتاكيت وهى تخرج من البيض.. ممنوع السطح.. ممنوع ممنوع ممنوع، وأمام الممنوع يرتجف الطفل، تهتز قدماه، وترتعش يداه، ويسقط أحياناً فى الممنوع، وتكون العاقبة بالضرب على يده:

«إياك والسطح.. لاتصعد فوق السلم.. افتح كفك».

«أثر الحزام الجلد تجاوز الكف على طول ذراعى.. أثر أحمر متورم عريض بمقاس الحزام».

وأمام هذا الممنوع يعود الطفل ليسقط فيه، لارغبة فى المخالفة ولكن من فرط الخوف من الوقوع فى الممنوع، الطفل يعشق الحركة، يحبها يحب اللعب والجرى، ويحب الصعود والهبوط، ويحب أن يتأمل الظواهر من حوله، ويقف على سر مشاهداته، وبذلك تتشكل شخصيته وتبنى لتكون عنصراً فعالاً فى المجتمع.. لكن ماذا لو تأسس أطفالنا على الخوف، هل يمكن أن ينهض بهم المجتمع، لابد أن يكون هذا المجتمع هو الآخر خائفاً مرتعشاً، لن يستطيع أن يتأمل من حوله، ويواكب أى تطور يتحقق خارج تخومه، اليد المرتعشة الخائفة هل يمكنها أن تبنى صرحاً، لن تستطيع بالطبع، ولن يتمكن أصحابها من الصعود!..

ثم تأتى الفقرة الثانية فى القصة بعنوان «لاتصعد» كأنها تتسلم خيطها من الجزء الأول، حيث يحذر الأبوان بشدة «ستسقط، ستموت كما مات ابن عمك» عندما فعل كذا، وأمام التحذير فى المشهد الثانى من السقوط يرتعش بدن الطفل، وتهتز نفسه:

«هل أسقط أم أطير.. جسمى يرتعش.. صحوت، عرق غزير يغمر جسمى.. دب دب دب.. دقات قلبى.. أفتح عينىّ على آخرهما، لاأريد أن أعود للنوم».

ثم يأتى المشهد الثالث أو الجزء الثالث معنوناً «بالوعيد»، أو مستهلاً بالتهديد «ستسقط».. فى حديقة بيتنا الجرداء نخلة، تسلقتها أول مرة وأنا فى السادسة، البلح لايزال أخضر، وأثر الحزام أحمر، انفجر الدم من أثر الحزام، أمى تتلقى ضربات الحزام على ذراعيها بدلاً منى، الدموع سقطت من عينيها: «لن يقترب ثانية من النخلة.. اقطع النخلة وأرحنا منها.. النخلة لم تقطع».

وحتى لو قطعت النخلة سيظل الخوف من السقوط، ربما من النخلة نفسها التى قطعت، وربما من شىء آخر، وسيظل الخوف من السقوط والخوف من الأب ملازمين للطفل..

إن القصة تقطر دماً هى الأخرى، ترتعش كلماتها، تبدو قلقة فوق السطور، الكلمات تتكرر بحدة كأنها صراخ لبومة لاتكف عن العويل.

«ستسقط» إنها نبوءة الأب والأم لمستقبل الطفل، ويملأ الفعل المضارع حيزاً كبيراً ليعبر عن تلك الحالة!.

«تسقط».. «تقع».. «تتحطم»..

يقول الراوى الطفل «نبوءة أبى تحققت.. فى كل ليلة أسقط.. وكلما نمت أسقط».

بينما يأتى فعل الأمر ليؤكد هذا القهر:

«ابتعد .. لاتصعد..»

بل تبدأ القصة بفعل أمر يؤدى تنفيذه إلى إسكات صوت الطفل، وانتزاع حقه فى اليقظة والحياة:

«نم».

«نم.. والدك غضبه شديد».

يأتى غضب الوالد من الاستيقاظ إلى الصحو، وتستقر نفسه برقاد الطفل وإغلاق عينيه، وإسكات صوته!.. هل نتصور وطناً بلا أطفال، وسمراً لايشارك فيه الصغار، وبهجة تتحقق دونهم؟!.. أورثنا أولادنا الخوف سلمناهم صخوراً يختبئون خلفها، وحوائط آيلة للسقوط يرتكنون عليها،

وسطحاً بلا سور.. بوسع الأب أن يبنى سوراً للسطح ليحمى أطفاله من الهلاك ومن الوعيد الذى لايكف عن ترديده، لكنه الداء العضال الذى أصاب عضد الأمة!.. من حق الطفل أن يغامر وأن يجتاز السور، وأن يألف الصعاب، وإن اقتضت الضرورة للمراقبة فلتكن من بعيد، دون صرخة تفتت عظامه، ودون ضربات تفقد توازنه، ودون أن تفرض عليه استرجاع مشاهد البؤس من حياتك، فلنغرس فى نفس الطفل قيمنا الأصيلة وتعاليم دينه، فلنعلمه معنى الجذور واستقراء التاريخ والانتماء والوفاء.. نعم نعلمه كل ذلك لكن لا نجبره على آلية التفكير التى سلكناها، ولانفرض عليه إفرازات عقولنا المعطلة منذ زمن، والمتراكم عليها غبار العفن، هذا ماتسعى إليه قصة الشارونى تحريك الساكن وتأكيد حق الطفل فى الانطلاق واللعب.

ربما بدت القصة قاتمة بعض الشيء، صادمة للطفل، لكن إذا رأيناها بعين الطفل سنرى أن سيتقبلها قبولاً حسناً، فليست أقسى عليه من الواقع، وليست تقدم بشاعات على نحو ما تمنحه السينما من أفلام الرعب ومصاصى الدماء..

ليست هناك مشكلة فى أن يتلقى صاحب المشكلة مشكلته بنفسه، تصل إليه بأسلوب جميل، بسيط وعميق فى آن واحد، وفى قالب يشجع الصغار على كتابة مذكراتهم مثل هذا الطفل، والتقاط العجيب من الذاكرة وتحويله إلى فن خالص.

ثم إنها قصة للكبار، أخذت من فن القصة مايراهن عليه المجددون، اللغة المكثفة، والكلمات الحادة التى تشى بالغرض، والتنقل بين الضمائر بسهولة ويسر، والعودة - فى القصة - إلى ضمير المتكلم حيث تروى القصة

على لسان طفل، ويأتي الحكى مناسباً لطبيعة الطفل ولغته، ومن السرد يدخل إلى الحوار دون قيل أو قال ليبدو الحوار كأنه جزء من السرد والسرد جزء من الحوار.

هى قصة قصيرة تفجر مشكلة كبيرة لها فروع كثيرة: قهر الطفل سواء كان بتخويفه أو ضربه أو منع حقه فى التفكير وممارسة مايساعده على تنمية هذا التفكير، وبهذا التفجير تجعلنا القصة نواجه أنفسنا بشراسة!

وتمتاز القصة بأسلوب شعرى جاء ليخفف من حدة القتامة التى يعايشها الطفل فى القصة.. إنها قصة تنحاز للطفل وتنتصر له وتقدم إدانة قوية لكل ممتهن لحقوقه.

وتؤكد أن كاتبنا يعقوب الشارونى يعايش مشكلات الطفل بفنه وروحه ورؤية تنم عن مقدرة فنية عالية ووعى كامل بهذه المشكلات.

● حول رواية
« الصياد ودينار السلطان »
السلطة من منظور
الحكاية الشعبية

فى الوجدان الشعبى يكون التعامل مع السلطة مشوباً بالحذر، فالإنسان البسيط يسعى قدر استطاعته تحاشيها، وهى أيضاً فى تصوره إن أعطت باليمين أخذت باليسار، ويظل هذا الاعتقاد سائداً حتى الآن عند قطاع كبير من الناس:

«حد الله بينا وبين الحكومة».

وإن كان هناك من يرى الامتزاج معها ضرورياً:

«إن فاتك الميرى تمرغ فى ترابه».

فالسلطة مصدر للقلق والتوجس عند البعض، كما تكون سبيلاً للعيش والحياة عند البعض الآخر.

وعندما يقترب يعقوب الشارونى من هذا الوجدان بخبرة تعامله مع الحكايات الشعبية، فهو ينتقى مايساعده على كشف أبعاد جديدة فى عمق الشخصية، إنه يقدم شخصية صياد ويدفع به إلى معقل السلطة محاولاً تعرية الطرفين (السلطة والشعب) أمام الطفل، لكى يقف الطفل على حقيقة الأمور مستعيناً بثراء الحكاية الشعبية.

فالصياد فى قصة «الصياد ودينار السلطان» ليس خائفاً من السلطة على نفسه، إنما هو خائف على ماله وحقه من الاستلاب جتى لو كانت السلطة

هى الجانى، ونجد الصياد إنساناً فطرياً يتكلم على سجيته لايعنيه أن يخرج الكلام بأية صورة قدر مايعنيه أن يحافظ على حقه، ثم هو ذلك الإنسان الذى يسعى إلى رزقه كل يوم ويقابل مايقابل فى سبيل رزقه، لكنه يواصل عمله.

وعندما يتجسد الخيال أمامه ويظهر له القرد واعداً إياه بالسمكات الخمس والدنانير الخمسة مقابل أن يساعده فى إعادة حريته من الرجل الظالم، نجد الصياد لايصدق ذلك فى بداية الأمر، لذا يربط القرد إلى نخلة حتى يتأكد من صدقه عندما يقدم له دليلاً على صحة وعوده. ثم أنه ـ الصياد يسعى للحصول على حرية القرد ويتعرض للإيذاء لكنه يعود ناجحاً، فالصياد لايثق بسهولة، فربما تكون السلطة قد تمثلت فى هذا القرد، وقد تكون خدعة، وعليه أن يحافظ على ماله فهذا حقه، فهناك أفواه الجائعين فى بيته تنتظر وهى أولى من السلطة التى تأخذ الإتاوات حتى على سمكاته القليلة التى يصيدها من البحر.

وهكذا يضع يعقوب الشارونى الطفل أمام شخصية تثير تعاطفه منذ البداية، فهو إنسان بسيط، صياد، علاقته بالبحر والصيد، ثم هاهو قد ظهر له قرد، وهذا يكفي لجذب الأطفال إلى الحكاية، وعليه ـ أى الصياد ـ متى احتاج لهذا القرد أن يصرخ ويقول:

«ياسيد البر والبحر».

لكن الجميل أن القرد لايصنع المعجزات للصياد، ولايمنحه المساعدة فى أمور ينبغى أن يحرص عليها الإنسان بجهده وتعبه، فالقرد وعده بالسمك فقط:

«أما عملية الصيد والمحافظة على المال فهذه مسئوليتك أنت ياخليفة ياصياد».

وهنا تكون الرسالة واضحة للصغير والكبير، فليس من الحكمة أن يتكاسل الإنسان أو يهمل واجباته، وينتظر قوة سحرية كى تخلصه مما هو فيه، فالصياد لكى يحصل على مساعدة القرد لابد أن يلقى شبكته فى البحر ولابد أن يعمل، وأن يحافظ على مواقيته، ويحافظ على ماله، ويجاهد قدر المستطاع، ثم تكون هناك الجائزة التى يمن الله بها على عبده عندما يسخر له الأشياء أو المخلوقات لمساعدته، ويأتى ذلك نتاج الجهد وعمل الخير، فلولا نخوة الصياد ومساعدته لتابع السلطانة، لما تم اكتشاف لغز الصندوق الذى وضعوا فيه مغنية السلطان، ولما كانت المكافأة له فى النهاية.

إن شخصية الصياد تتجه نحو الخير مهما كان طريقه صعباً، وتندفع إليه اندفاعاً غير منتبهة للخطر الذى قد يصيبها.

إذاً نحن هنا أمام نموذج للشعب يحمل كل:هذه الخصال الكريمة، لكنه لايثق فى السلطة، حتى أن القصة تنتهى بذات المفهوم رغم انفراج الأزمة بين الصياد والسلطان، فنجد «خليفة» الصياد يضع على باب قصره الذى منحه له السلطان، رسماً لوجه ضاحك كتب بجواره يقول:

«إذا أخذت من السلطة ديناراً فلا تفرح، فقد تعطيك فى مقابله مائة جلدة!» وهى التى حصل عليها الصياد خليفة من السلطان زيادة فوق الدينار الذى أخذه منه!

ورغم أن الكاتب أراد بهذه الجملة أن ينهى الأزمة بين الطرفين ويحول الأمر إلى فكاهة بأن يرسم الصياد وجهاً ضاحكاً، إلا أن الأزمة ما زالت قائمة والثقة المضطربة لاتزال كما هى لدى الصياد، حتى ولو امتلك القصر. والوجه الضاحك الذى رسمه الصياد بجوار هذه العبارة تعنى أن خليفة-الصياد أو الذى صار شيخاً للصيادين، يتحايل خوفاً من الأذى، فهو

مضطر أن يقول: «أنا لا أعنى ماكتبت ولا أتكلم جاداً، وإنما أنا أمزح وأضحك مثل هذا الوجه المرسوم»، وهذا يدل أيضاً على أن الخوف من السلطة مازال قائماً.

* * *

ولكن هل كان الصياد خليفة على حق فى خوفه ووجله وعدم ثقته بالسلطة، أم كان واهماً ومتشرنقاً حول ذاته يتصور مالا يجب تصوره؟!

ياله من سؤال مهم يجب أن يعرف الطفل إجابته جيداً، لكن هذه الإجابة لن تكون من عندياتى وإنما من داخل النص أيضاً.

ولكى نقف على الإجابة فلابد أن نضع السلطان تحت المجهر على النحو الذى فعلناه مع الصياد خليفة، وإلا نكون قد مارسنا سياسة الوزن بمكيالين، واستضعفنا الضعيف خوفاً من بطش القوى.

من الإنصاف أن نقول إن هناك جوانب مضيئة فى شخصية السلطان كممثل لقمة السلطة، فهو يتفقد شئون رعيته حتى لو فعل ذلك لغرض يخصه ولايخص الرعية، فهو يرفض فى القصة أن يرافقه الوزير عند الاقتراب من الصياد خليفة غير عابئ بالخطر ليقف على حقيقة مايجرى وحده دون الاستعانة بأحد قد يزيف الصورة أمامه. وبعد حوار جميل دار بين الصياد والسلطان، كافأه السلطان عن كل سمكة ديناراً ذهبياً، ثم المكافأة الكبيرة بأن زوجه من «قوت القلوب» مغنيته، بل ومنحه قصراً وأعطاه منصب شيخ الصيادين..

فلماذا إذاً بعد ذلك بقيت الثقة تتأرجح بين الشك واليقين؟!

إن الوجدان الشعبى يحتفظ بمئات القصص والحكايات التى يتصارع فيها الناس مع السلطة، ويرى هذا الوجدان أن المعركة فى غالبيتها تحسم

لأرباب السلطة، والناس دائماً ضحية هذا الصراع. وقد تحسم المسألة أحياناً لهم لكن يبقى الحذر مستمراً، فالسلطة دائماً لاتقبل الهزيمة بسهولة أمام مواطنيها، ذلك ميراث يتنقل جيلاً بعد جيل.

والصياد خليفة في قصة كاتبنا يعقوب الشاروني أصبح مجرد وسيلة لتسلية السلطان، وحينما تقدم إليه السلطان فقد كان يبحث عن مغامرةجديدة أو لعبة جديدة يمارسها، ورأينا كيف عاقب الصياد بالضرب مائة جلدة بينما تتعالى الضحكات.

إذاً نحن هنا أمام سلطة لاتجد في شعبها فائدة غير أن تكون وسيلة للإضحاك مهما كانت تبعات ذلك، ومهما كان الأثر السيئ الذي يبقى في نفس المواطن البسيط.

ثم تمضي القصة ونطالع ذلك المشهد الذي نرى فيه السلطان وهو يلعب مع الصياد لعبة الحظ التي قد ترتفع به إلى أعلى، وقد تهبط به إلى حد فقدان حياته، وتكون المائة جلدة على ظهر الصياد خير عنده من فقدان الحياة، ولامعنى للدينار الذي كسبه بعد ذلك من السلطان، فالدينار يعني المائة جلدة بالنسبة له، وسيظل الدينار رغم قيمته المادية والمعنوية مرتبطاً لديه بالضرب والإيذاء والإهانة والاستخفاف، حصل عليه بشكل غير كريم، وتلاشت الفرحة به خلف سياط الضرب حتى وإن كان خفيفاً.

وإنفراج الأزمة بين السلطان والصياد جاء مبنياً على مصلحة السلطان التي تحققت بعودة قوت القلوب مغنيته، وعادت أيضاً بجهد الصياد المسكين.

كل هذا الامتهان ارتبط بالكثيرين من أصحاب السلطة، واختزنها الوجدان الشعبي في أعماقه وتعلم بسببها المكر والدهاء، كي ينجو بنفسه

وأهله ويحيا فى مجتمعه الصغير بشكل كريم لاتهدر فيه آدميته ولا يتحول إلى مجرد وسيلة للتسلية والإضحاك، من هنا تظل الثقة فى حالة تأرجح بين الشك واليقين.

* * *

لكن هل علينا كى نطلب الراحة أن نسعى نحو رضاء السلطان؟! السلطان ولى الأمر.. نعم.. لكن ينبغى أن يكون السعى لصالح المجموع وليس لصالح شخص حتى لو كان السلطان هو ذلك الشخص.

وفى القصة الأمر يتعلق بنزوة من نزوات السلطان، هذا ماحاولت القصة أن تمسه دون إيغال، فالدخول إلى منطقة كهذه فى أدب الطفل قد تكون محفوفة بالمخاطر لكن القصة أيضاً بمعطياتها تطمح أن تكون للجميع صغاراً كانوا أو كباراً، وإلا لما مست مسائل قد تكون بعيدة عما يشغل الطفل، أو لعلها قد تشغل بعض الشباب الصغير، مثل مسألة غيرة زوجة السلطان من مغنية السلطان، لكن كاتبنا الأستاذ يعقوب الشارونى يرى أن طفلنا ناضج وأنه سيستوعب ذلك مع الكبار، فقط المحك فى التناول. والحقيقة أن الكاتب مس هذه الأشياء مساً خفيفاً، بل حينما يقترب من الحكايات الشعبية فهو يستبعد كثيراً مما يرد فيها ويتنافى مع قيم المجتمع سواء كان هدفه الكبار أم الأطفال.

* * *

قدمت هذه القصة رؤية جديدة للنظر إلى الأشياء، فالقرد الذى يأتى فى أعمال أدبية أخرى مقلداً ومتقافزاً يتنقل هنا وهناك، جاء هنا رمزاً للحكمة ، وصار سيداً فى البر والبحر، وقوة دافعة للصياد فى الطريق الصحيح، ورغم قوته السحرية فى العيش فى البر والبحر وامتلاكه هذه السيادة إلا أنه لم

يقدم شيئاً للصياد عندما شكى له تدهور حالة وضياع ماله، ولكن كان يساعده فقط فى تقديم السمك له، وهو العطاء الذى يناسب مهنة الصياد، فكلما اجتهد وزاد اجتهاده حصل على السمكات الذهبية التى تغير حاله، لذا فقد حمّل الصياد مسئولية ضياع المال والإهمال.

ورغم الصورة القوية التى رأينا فيها القرد، فإنه لم يستطع أن يفعل شيئاً لنفسه؛ كى يتخلص من تبعيته للتاجر الطماع غير أن يختفى من أمامه، ولكنه أراد أن يتحرر من قيده كما يفعل الشرفاء، لذا استعان بالصياد لكى يحرره من هذا القيد، ولم يدخر الصياد وسعاً وساعد الطرفين على التعاون معاً للوصول إلى قلب الثقة، ثم المصلحة المتبادلة، فلابد أن يكون هناك أخذ وعطاء؛ لكى تحقق ذاتك ووجودك فى هذه الحياة وتكون نافعاً للآخرين، ولديك ماتقدمه إليهم قبل أن تطلب مساعدة أحد.

كذلك رأينا أهمية تعلم الحرفة فى هذه القصة، فالصياد الذى ظن أن السلطان ماهو إلا «زمار» طلب منه أن يتخلى عن مهنته الزمر وأن يكون صبياً فى مهنة الصيد كى يتعلمها، تبين للطفل أهمية أن يتسلح الإنسان بمهنة يحقق ذاته من خلالها.

كما حفلت القصة بأجواء شعبية محببة، وقدرة جميلة على التركيز فى الحوار بشكل يعطى المعنى ويثرى الخيال.

فعندما يسأل التاجر الصياد وهو يتأمل السمكة العجيبة:

ـ «هل رآها أحد غيرى؟»

يقول الصياد:

ـ «عيون الشبكة لاترى.. وآذان القفة لاتسمع».

وحفلت بتعبيرات جميلة مثل «شبكة الصباح»، ويذكرنا ذلك بما نقوله في الريف المصرى عند جمع القطن فى الصباح الباكر واصفين ذلك بقولنا: «عب الندى».

إن الحكايات الشعبية حافلة بالمعانى الرائعة وبالخيال الجميل، وتحتاج إلى صائغ ينظم حباتها المنفرطة، ويجمع زهورها المبعثرة، ويضفر جدائلها المنسدلة، ويسبر أغوارها البعيدة ليقدمها فى طبق مندى حافل بالمتعة، زاخر بالقيمة، وتلك مهمة صعبة كما تعلمون.

القسم الثانى

• قرية شارونة
فى إبداع يعقوب الشارونى

مبدعون كثيرون يحلمون أن يحملوا نشأتهم معهم أينما ذهبوا، المكان الذى شهد قدومهم للدنيا، وعاشوا فيه فترات الطفولة والصبا، هو الحلم الذى كان يعيشه الكاتب وهو صغير، أن يكون له شأن ويُعلى بهذا الشأن شأن قريته، وأن يوجّه أنظار العالم إلى البقعة التى ينتمى إليها، ويمد جسور التواصل منها وإليها، فالبلاد لا تكتسب قيمتها بعمرها الطويل فحسب، ولكن أيضاً بما يصنع أبناؤها ويضيفون، من هنا ظهرت أعمال فى الأدب العربى لمبدعين يمارسون نظرتهم للعالم من خلال أماكن نشأتهم، فرأينا أحياء القاهرة الشعبية من خلال إبداعات نجيب محفوظ وقرى الشرقية من خلال يوسف إدريس، والإسكندرية بعبقها من خلال أعمال محمد جبريل، والمحلة الكبرى من خلال عباس أحمد، والصعيد بعاداته وتقاليده فى «بئر الأحباش» لعبدالعال الحمامصى..

وإذا كان مكان النشأة يمثل للمبدع هذه القيمة الكبيرة فإنه لا يسمح أبداً بأن ينال أحد من هذا المكان، ولعله من المهم أن نسوق واقعة طريفة لارتباطها بهذا الانتماء، عندما داس - ولا يزال - السفّاح الإسرائيلى آرييل شارون الأطفال الفلسطينيين بدباباته، وضرب بيوتهم بالنابالم، غلى الدم فى العروق، إلى الحد الذى طالب فيه أحدهم بتغيير اسم قرية «شارونة»

المصرية لتشابهها مع اسم قاتل الأطفال، وكان هناك رد طريف ومقنع من الكاتب الكبير يوسف الشارونى شقيق الأستاذ يعقوب الشارونى، الرد نشرته جريدة الأهرام، ومضمونه أنه يرفض تغيير اسم شارونة إلى أى اسم آخر، لأنه إذا تعاملنا بهذا المنطق فسيكون رئيس الوزراء الإسرائيلى قد نجح فى احتلال اسم قرية مصرية واغتصاب تاريخها على النحو الذى يمارسونه، ثم إن - والكلام ليوسف الشارونى - شارونة أقدم من شارون فليذهب شارون إلى الجحيم، وتبقى لنا شارونة المصرية، ثم أضاف فى لهجة ساخرة: هل نغيّر أسماءنا أيضاً لننتسب إلى الاسم الجديد.

وهذا رد يليق بأسرة ذات طابع خاص، قدمت لحركة القص العربى مبدعاً بقامة يوسف الشارونى وفى أدب الطفل وثقافته عاشقاً كيعقوب الشارونى وللحركة التشكيلية فناناً كصبحى الشارونى أرى هذا التقديم ضرورياً فى تأكيد روح الانتماء لدى الأسرة، ومن ثمّ لدى الأديب يعقوب الشارونى، الذى طوّق قريته بعقود الياسمين، واستلهم منها نماذج إنسانية، انتصر لها وصاحبها فى رحلة تحقق رائعة، فأكد قدرة قرية صغيرة على الإضافة إلى الوطن الكبير «مصر».

فى «سر الاختفاء العجيب» قد نرى أنه من المألوف أن نجد طفلاً مثل محمود - من شارونة - يتحدى عجزه، ويصر على البحث عن صديقه المختفى «سعيد» وأن يواجه كل التحديات التى تقابله حتى ينجح فى الوصول إلى صديقه، ويكتشف أثناء ذلك اكتشافاً فرعونياً هائلاً.

لكن المدهش أن تصبح «شارونة» بسبب ذلك محط الأنظار فتنتقل العاصمة إليها بآلات التصوير، ووفود الصحفيين، ويقام احتفال لتكريم «محمود»، ويشهد الجميع ليس بقدرته على التفوق فقط، وإنما فى تحقيق المدهش.

لقد كان جمال القصة أن محمود لم يكن يبحث عن إثبات ذاته فقط، إنما أيضاً قريته، لأن قريته سيدهشها أن تكون فى بؤرة الضوء بسبب نجاح محمود.

وفى «مفاجأة الحفل الأخير» نرى محاولة البنت محاسن أن تتفوق وأن تؤكد ذاتها، وأن تكمل تعليمها، ويتحقق ذلك بمساعدة أمين أفندى ابن قرية شارونة الذى يساعد الأولاد فى دروسهم، قد يبدو هذا الأمر عادياً حتى لو وصلت محاسن إلى منصب رئيس مجلس القرية.. لكن الدهشة التى يحققها الكاتب لقريته هو ذلك الحفل الذى يقام لتكريم محاسن وزميلاتها المتفوقات فى حضور محافظ الإقليم، وتنتقل أيضاً كاميرات التصوير والصحافة لتغطية حفل كبير بطلته «محاسن» يشبه ذلك الحفل الذى أقيم لتكريم محمود فى «سر الاختفاء العجيب».

وفى «مغامرة البطل منصور» نرى تلك البطولة للصبى منصور ابن شارونة، يراقب ارتفاع الماء وراء السد أيام الفيضان أثناء انشغال القرية بإخماد حريق هائل، ويدرك أثناء سيره فى الطين إنه إذا استمر فقد يساعد الماء على التدفق، فيصر أن يتوقف وأن يصير سداً فى وسط مخاطر عديدة، وكأنه قدر القرى أن تحاصر بالماء من الخارج والنار من الداخل.

«لن أترك مكانى.. أنا الآن مثل جندى فى ميدان القتال لا يتقهقر ولا يهرب، إما أن تأتينى النجدة أو أموت حيث أنا فأمنع الماء حتى وأنا ميت من الانتصار على السد وإغراق القرية» (ص ٦٨).

وتأتيه النجدة بعد أن يصنع عملاً بطولياً، وبعد أن يترك لرفاقه تعريفاً راقياً للمقاومة، ويطلقون اسمه على الطريق المؤدى لهذا المكان، ويعرف بطريق البطل منصور، ليصبح الطريق هو الآخر رمزاً للمقاومة فى قرية شارونة.

وفى روايتـه «تائه فى القنال»، وهـى من أهم أعـمـال يعـقـوب الشـارونى التى زاوجت بين تحقيق الشرط الإبداعى وخصوصية الطفل، فهو يقدم لنا قريته شارونة فى فترة من الفترات العصيبة فى تاريخ مصر، فى عـهـد الخديو سعيد، وتطبيق نظام السخرة على فلاحى مصر عام ١٨٦١، فخرجت الألوف إلى مصيرها المحتوم للوصول إلى برزخ السويس للقيام بأعمال الحفر، امتداداً لسلسلة شقاء رهيبة يتعرض لها الفلاح المصرى منذ أقدم العصور، فهو ليس مهملاً فحسب ولكنه أيضاً مسخّر لنزوات الآخرين، حتى لو كان الثمن ضياع أمنه وخراب داره وحقله، وكان بوسع الشعب المصرى أن يحفر ألف قناة، ولكن فى ظل حياة كريمة يسودها العدل والمساواة.

ولأن قرية الكاتب ـ شارونة ـ شأنها شأن أية قرية مصرية فقد تم ملاحقة رجالها حتى خلت القرى من الرجال ولم يجدوا غير الأطفال لتشملهم السخرة أيضاً، فهناك لائحة تشغيل العمال والتى أصدرها الخديو سعيد تعطى الشركة الحق فى تشغيل الأطفال الذين يقل عمرهم عن اثنتى عشرة سنة.

وتفزع الخالة «أم مصطفى» وتوارى ولدها فى صومعة الغلال فوق السطح، لكنه يخرج منها، ليس لأن أحداً اكتشفه ولكن لأن شيخ البلد أخذ الولد الأصغر منه، لأن ساقية السخرة يجب أن تدور، ويعايش الفتى «مسعود» حياة السخرة واختيار يعقوب الشارونى لهذا الموضوع فيه ذكاء كبير؛ لأنه يضع الأطفال فى مواجهة الظلم، ويأخذهم إلى مناطق فى التاريخ يجب معرفتها ومناقشتها، فليس من صالح الطفل أن نعزله عن قسوة تاريخه ولا فجاجة واقعه.. لكن.. أكان ضرورياً أن تكون شارونة؟

والإجابة أن قرى مصر كلها عانت من هول السخرة وليس من قبيل الخيال وقوع شارونة تحت طائلة هذا الهول.. فلتكن شارونة مسرحاً لذلك، وليفتح الكاتب ملف السخرة من خلالها.

لقد قدم لنا من خلال شارونة قصص أبنائها الناجحين، وكان نجاحهم مرتبطاً بذاكرة الوطن، اكتشاف الآثار [سر الاختفاء العجيب]، أسوان والسد من خلال [مغامرة البطل منصور]، وخدمة الوطن من خلال شخصية محاسن في [مفاجأة الحفل الأخير].

ويقدم الكاتب من خلال هذه الرواية معلومات عن القناة وعن نظام السخرة الذى كان يعيشه الفلاح المصرى، وهى معلومات جاءت فى سياق القص، ويعرف الطفل أن مصر أوقفت أعمال السخرة في يونيه عام ١٨٦٤ بعد أن فقدت من أبنائها مائة ألف فلاح، ثم يصل بنا إلى تأميم القناة فى ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦ وكأنه يقول لأطفاله إن جهود أجدادكم لم تذهب سدى.

وهكذا نجد قرية الشاروني ماثلة حاضرة فى التاريخ والحاضر وهى تتسع لأية بطولات، ومليئة بالشخوص الذين لا يكفون عن العطاء، وهى قرية تستطيع أن تؤكد ذاتها وتثبت وجودها عند الملمات، وتجد أبناءها يحققون طموحاتهم وأحلامهم وهم ملتحمون بقريتهم، هم لا ينتقلون للمدينة وإنما المدينة تنتقل إليهم بآلات التصوير ووفود الصحفيين، فالكاتب لا يقدم درساً للأطفال فى الانتماء للقرية فحسب، ولا فى حرصه على أن يأخذهم للسحاب فقط، وإنما هو يؤكد أيضاً أن الإنسان يمكنه أن يحقق ذاته، ويصقل مواهبه حتى لو كان فى آخر أقاليم مصر، وأنه لا مجال للشكوى من البعد عن العاصمة ما دام لديك العطاء الذى يمكنك أن تمنحه

للآخرين، فيمكننا أن نسعى إلى الطبيب الناجح حتى لو كان فى صحراء قاحلة، ويمكننا أن ننتقل إلى حقول المعادن والبترول أياً كان موضع اكتشافها، بل ونقيم حولها مقومات الإنتاج.

وهكذا نجح «محمود» فى «سر الاختفاء العجيب»، ونجحت «محاسن» فى «مفاجأة الحفل الأخير»، وكذلك «منصور» فى «مغامرة البطل منصور»، و«زهرة» أيضاً فى «مغامرة زهرة مع الشجرة»، وهى من قرية تدعى «البياضية» لعلها قريبة من شارونة فهى مثلها تابعة لمركز مغاغة..

إنه احتضان الكاتب لإقليمه، ورد الجميل إليه، وحرصه على تأكيد انتمائه لمكان الميلاد والنشأة، إنه السباحة مع الشرايين التى تتحرك وتئول إلى مركز الضخ، إن العاصمة الكبيرة تكتسب قوتها بالأطراف، تماماً كالأخطبوط الذى يعتمد على أذرعه لإثبات قوته، وقد تعامل الأدباء مع المكان باعتباره منجماً لاينتهى، قادراً على البوح عن المطمور بداخله، حافل بالأثر الذى يمتد أثره.

و «شارونة» فى أعمال يعقوب الشارونى قرية صابرة مثابرة، تواجه التحديات الخطيرة، والظلم الوافد إليها، لكنها تتغلب على تلك التحديات من داخلها، أمين أفندى ابن القرية يساعد الأطفال على تحسين مستواهم الدراسى، أطفال من داخلها يغامرون، يواجهون قسوة الطبيعة، ويواجهون الحرائق، يرفضون الظلم والسخرة، وأطفالها يشاركون فى ملحمة الحياة بما يملكون من إيمان ومواهب وطموحات.

إنها القرية الحلم رغم واقعية الحكى لكن الكاتب يمنحها قبساً من روحه وعطراً من أحاسيسه.

● الصورة وتأثيرها والراوى المثقف فى قصص يعقوب الشارونى

العديد من القصص القصيرة والطويلة للكاتب يعقوب الشارونى تُروى بضمير المتكلم، وغالباً يكون هذا المتكلم هو الإنسان المثقف الواعى، والذى لا يكتفى بكونه راصداً للأحداث، بل هو منغمس فيها، يعايش الأجواء، ويكون جزءاً حيوياً من النص، وهو يغتنم العديد من الفرص ليخاطب طفله فى العديد من القضايا التى تهمه، أو يُسدى إليه المعلومات التى تساهم فى تكوينه الثقافى، أو يأخذ بيد صاحب الموهبة إلى بداية الطريق ليحقق ذاته ويؤكد شخصيته.

ويمكننا أن نشير إلى بعض القصص لنتعرف على هذا الراوى المثقف، الذى يحرص على تعريف طفله بما يدور حوله، كما يقدم له مشاهدات تاريخية تعينه على فهم هذا التاريخ.. وخاصة رؤيته للصورة باعتبارها مهمة لتشكيل وجدان الطفل.

فى «شجرة تنمو فى قارب»، نجد الراوى المثقف الذى يدخل الصيدلية ويتعرف على خالد، هذا الطفل الذكى رغم أنه لا يقرأ ولا يكتب، يتعرف الراوى على مشكلاته، ويحرص على مساعدته وعندما يشرع هذا الراوى فى تعليم خالد فإنه يستخدك الأساليب العلمية الحديثة، والكتب التى تتعامل مع الحواس فى التعرف على الحروف وتعلمها، وهو بهذا يعرّف طفله بما

وصل إليه العلم وبما يعايشه هو كمثقف: «وفى الصباح تركت فى الصيدلية كتابى الذى يتعرف من خلاله الأطفال عن طريق الصور أسماء بعض الأشياء الموجودة فى البيئة، وبعد عشرة أيام ذهبت إلى الصيدلية فأنهى خالد طلبات الزبائن الذين كانوا ينتظرون أدويتهم.. وجاء ناحيتى يحمل الكتاب وبدأ يشير إلى الصورة وهو يقول أرنب «أ» بقرة «ب» .. كان ينطق اسم الصورة، ثم ينطق الحرف الأول من كل اسم.. إنها لعبة من ألعاب الصور والأصوات» (ص ٣٤).

«لقد كان شكل الحرف يذكره بالصورة، فإذا تذكر اسم الصورة استطاع أن يتذكر أول صوت منها» (ص ٣٥).

وهكذا يحرص الكاتب على أن يضع الأساليب الحديثة فى التعليم داخل نصوصه، وهى أساليب تساعد الطفل على الاستيعاب السريع، لأنه يتعلم وهو يمارس اللعب، أو يمارس اللعب وهو يتعلم، كما يركز على الصورة هنا باعتبارها من أهم الوسائط التى تساعد الطفل على معرفة الأشياء، فهو يرى الصور ويعرفها قبل أن يدخل إلى عالم الكلمات، من هنا كان من الأهمية أن تكون القصص لمرحلة ما قبل المدرسة حافلة بالصور الكثيرة والكلمات القليلة، ويمكن أن يتعرف الطفل على الحكاية من الصورة، ومن الممكن أن ندعه يرتب الصور من جديد بعد بعثرتها ليقدم لنا الحكاية من جديد. وإذا كانت الصورة بهذه الأهمية بالنسبة للطفل فإن المشاهدات والرحلات أيضاً تمثل صوراً حقيقية للحياة والطبيعة، وهى هنا تفتح للطفل عالماً من البهجة، يلج إلى حياته العادية من خلاله، ويفسر ما استعصى عليه من خلال مشاهد الحياة الملغزة.

***

ففى قصة «مرمر وبابا البجعة» يعود إلينا الراوى المثقف، في هذه المرة يصطحب الصغيرة مرمر إلى حديقة حيوانات الأطفال، ويعرّفها على الطيور، ويتوقفان أمام بجعة مسكينة تعانى من قطع نصف منقارها العلوى من جراء حادث أليم، وهى لا تستطيع أن تتناول طعامها بنفسها فيحرص «العم محمد فتحى» على إطعام هذه البجعة المسكينة بنفسه، وهنا التأكيد على القيمة الإنسانية التى ينبغى أن يعرفها الطفل، وهنا أيضاً فرصة ليتعرف الطفل على هذا الطائر الجميل [البجعة] فالإنسان يعرف نقصان الشىء من اكتماله، لقد فقدت هذه البجعة جزءاً من منقارها فماذا كانت النتيجة، صعوبة تناولها للطعام، وهكذا يعرف الطفل قيمة المنقار بالنسبة للطائر، وهى معلومة داخل النص يخرج بها الطفل وهو يعايش تأثره البالغ من أجل هذه البجعة، التى تمثل «ذوى الاحتياجات الخاصة»، وهكذا نجد الصورة أمام الطفل، وكيف تلعب هذه الصورة دوراً متميزاً فى التعريف والتوجيه دون رفع شعارات أو أصوات عالية.

***

وعودة للصور من جديد وللراوى المثقف من خلال قصة «البنت منيرة وقطتها شمسة» نرى بيت والد الراوى الحافل بالكتب المليئة بصور الحيوانات، وتتعرف منيرة على القطة/ الصورة/ مثلما تعرفت على القطة/ الأصل.

والمقارنات فى عالم الطفل توجه انتباه الطفل لطبيعة كل شىء، إن مشهد القطة أو صورة القطة وهى تتشبث بالباب قد حرك الكثير من المشاهد والصور الكامنة فى أعماق منيرة، لقد ساعدتها القطة أن تستعيد الرغبة فى الكلام مع أفراد الأسرة ككل.

***

وهناك صور أخرى وتشكيلات لوحدات مختلفة تعاودنا مع الراوى/ المتكلم فى قصة «البداية مع قطعة شيكولاتة» وهى تحكى عن مصطفى صديق ابن الراوى الذى يتعرف عليه بعد فراق دام خمسة وعشرين عاماً، يقدم مصطفى شكره للراوى لأنه صاحب فضل عليه، وأن البداية كانت من عنده، لقد قدم الراوى لمصطفى وهو صغير قطعاً من البلاستيك ليقوم بتركيبها إلى أشكال مختلفة، ولأن مصطفى قد أبدع فى ذلك فقد كافأه الراوى بقطعة شيكولاتة، بعدها يشق مصطفى طريقه، بعد أن نبهه الراوى لبذرة الموهبة والتى نمت بالممارسة مرات كثيرة مع البلاستيك والصلصال، ونعرف فى النهاية أن مصطفى قد تخرّج فى الفنون الجميلة، ويدعو الراوى لحضور افتتاح معرضه الفنى.

وهكذا نجد الصور والتشكيلات ومدى تأثيرها فى عالم الطفل، ونرى التشجيع والحافز المعنوى فى صورة قطعة من الشيكولاتة، فما أروع أن تنبه الطفل إلى موهبته بقطعة من الشيكولاتة، وهذا يؤكد حرص الكاتب على تأكيد رسالته عن طريق الراوى المثقف.

وقد تُحكى القصة بضمير الغائب، غير أن الراوى لا يغيب، فقد يطل برأسه فى النهاية ليؤكد شيئاً على النحو الذى حدث فى قصة «مغامرة زهرة مع الشجرة» حيث يقول فى نهاية القصة:

«والآن وقد مضت سنوات على هذا الذى حدث، نشاهد أمام باب مدرسة الاجتهاد فى قرية البياضية بمحافظة المنيا بصعيد مصر.. إلخ» (ص ٣٨).

وقد يتخفى الراوى وراء شخوص داخل قصته، وهى الشخوص التى تتعامل مع الطفل وفق الرؤية الخاصة،رؤية المثقف لاحتياجات الطفل وخصائص الطفولة، على النحو الذى رأينا فيه مديرة المدرسة التى تراجع

نفسها، وتتعامل مع الطفل عاصم بشكل مختلف في «صندوق نعمة ربنا».

ويمكنك أن تنقب عن الراوى عبر القصص التى كتبت بضمير الغائب، فالراوى وإن غاب في وسيلة الحكى فإنه ماثل حاضر فى قصصه عن قريته، وبما يطرح من هموم وقضايا.

وهكذا لا نستطيع إغفال دور الراوى الذى لم يتواجد صدفة في عالم الشارونى، وإنما كان بدافع رسالة احتشد الكاتب لتوصيلها، وهكذا تلاحقنا الصورة باعتبارها عنصر الجذب الرئيسى للطفل وخاصة فى سنواته الأولى.

● ثورة من أجل الشجرة

« مغامرة زهرة مع الشجرة »

ما أكثر حاجتنا إلى الأشجار، وما أكثر حاجة الطفل إلى مساحات قصصية تبرز فيها خضرة الأشجار لتمنحنا نقاءً نفتقده، وما أجمل أن يشعر الطفل بقيمة الشجرة، فلا توجد بيئة صافية دون أن تكون الشجرة رمزاً نبيلاً بها، وتكريماً للشجرة ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى مواضع مختلفة، وكذلك فى الحديث الشريف، بل وبايع الصحابة رسول الله ﷺ تحت الشجرة.

وأذكر أن مصر كانت تحتفل بعيد الشجرة مما يعكس اهتماماً بالغاً بقيمة الشجرة.. وقد برزت الشجرة فى إبداع العديد من المبدعين على اختلاف تنوعه، واحتلت الشجرة الصدارة فى عناوين كتب كثيرة، وحفظ الوجدان الشعبى عنواناً مثل «يا طالع الشجرة» تلقفه توفيق الحكيم لأحد أعماله.. وهناك قصة بعنوان «أمه» واحدة من أجمل القصص التى ضمنتها مجموعة «العتب على النظر» ليوسف إدريس تحكى عن فجوة داخل شجرة أوت طفلاً شريداً، لم يجد غيرها مأوى فكان عندما يدخلها تصبح الشجرة بلا فجوة ويصبح الطفل صاحب بيت، ولم يخرج منها حتى كبر جسمه، وضاقت به الفجوة فخرج وانغمس فى الاستقرار الحياتى ليجد الشجرة وقد جفت، لكنها كعادة الأشجار ماتت واقفة، ووقف أمامها الرجل الذى كان طفلاً مطرقاً فى حزن ودمعت عيناه، لقد كان يبكى «أمه».

واستمراراً لعشق الشجرة من قبل مبدعينا، يتغنى يعقوب الشارونى بالشجرة، وينحاز إليها فى كتاباته، سواء كانت تنمو فى قارب، أو تنمو أمام مدرسة الاجتهاد فى «مغامرة زهرة مع الشجرة» وفيها يصحب الكاتب طفله إلى بستانه الأخضر، فالعنوان يحمل فى طياته زهرة ويقدم فى نهايته شجرة وقبل الاثنتين هناك مغامرة، وهذه المغامرة تقدمها السلسلة العريقة المكتبة الخضراء التى تقدمها دار المعارف بجمهورية مصر العربية.

وهى قصة أهم ما يميزها أنها تضع الأطفال على جبهة الصراع، وتدفع بهم لمواجهة إفرازات الواقع الذى لا يأبه بالخضرة ولا بالجمال.. وبالتالى يفرط فى الأشجار باعتبارها غير ذات قيمة.

فما أسهل أن يصدر تفتيش الرى قراراً بقطع الأشجار حتى وإن كان يعنى تلك التى أصابها السوس، فهناك سوس آخر يتربص بالأشجار يتمثل فى طمع المقاول وتخاذل المهندس، فمن يريد أن يقى شجرته شر القطع، عليه أن يدفع للمقاول فى الخفاء، وستبقى شجرته حتى ولو كانت مليئة بالسوس، بينما يتم قطع الأشجار السليمة لأن أصحابها لم ينتبهوا لأهمية منح المقاول فى الخفاء.

ومن هنا يتربص قاطع الشجرة بشجرة الكافور الجميلة والماثلة أمام «مدرسة الاجتهاد» وهى ليست سليمة فحسب، وإنما تعطى لمسة جمالية للمكان، ويستظل بها الصغار، ويلعبون فى ظلها الوارف، فهى تمثل لهم قيمة غالية، ولن يشعر بهذه القيمة غيرهم، ولن يدافع عنها سواهم.

وهنا كان لابد أن يثور الأولاد بقيادة «زهرة» وأن يتحلقوا حولها لمنع الكارثة، ويصوّر لنا الكاتب اعتصاماً طفولياً حول الشجرة، يثمر نجاحاً فى

نهايته، وينجحون فى صد العدوان، ويؤمن الجميع بأهمية الشجرة، ويكثرون من زراعتها.

وقد يرى البعض فى تصدى الصغار لحماية الشجرة أمراً مبالغاً فيه فكيف يواجهون سطوة القاطع وحدة المنشار، لكن بالتأمل الذى مارسته الشجرة الشابة عندما تأملت جرح الشجرة العجوز، نعرف حرص الكاتب أن يجعل المأزق شأناً طفولياً، يخص الأطفال أكثر من غيرهم. فالأطفال فى حاجة إلى بيئة نقية وهذا لن يتحقق فى ظل استباحة الأشجار، وليس بالضرورة أن يواجه كل الأطفال من قراء هذه القصة قاطع الشجرة والمنشار، ولكن الكاتب هنا يريد أن يضع الصورة بين الإطار ليبرز معالمها، ويؤكد على القيمة التى يجب أن يعرفها الطفل، وهى أن الشجرة تستحق أن ندافع عنها ونتصدى لأى قاطع لها.

فى معالجة القصة

استفادت هذه القصة من تقنيات القصة القصيرة التى تعالج موقفاً، أو تمسك بلحظة، أو تدور حول الحمى لإظهار ماهو كامن فى قلب الحقيقة، والموقف هنا يتمثل فى سؤال الشجرة الشابة للشجرة العجوز عن أثر الجرح الذى تراه فى جسد رفيقتها، هذا الأثر هو «القصة» علينا أن نقتفى أثره ونعرف سببه.. وفى اللغة «قصَّ الشيء» بمعنى اقتضى أثره، لكن بالطبع لم يأخذ الموقف شكل القصة القصيرة فى عنفوانه فهناك أشياء لابد أن يتعلمها الطفل ويتوقف عندها الأستاذ يعقوب الشارونى بحنكة خبير يعرف كيف يصل لأطفاله ويجيب عما يجيش فى صدورهم من أسئلة.

الراوى/ شجرة

القصة تحكيها الشجرة العجوز للشجرة الشابة بعد أن سألتها الثانية عن سبب هذا الشق، فتخبرها الشجرة العجوز بأن هذا الشق كان وراء وجود

الشجرة الشابة وغيرها من الأشجار الأخرى، وأهمية أن تكون الشجرة راوية لأنها محور الحدث الذى يرتبط بالمدرسة والتلاميذ والقرية ورموزها، فهى عندما تحكى عن نفسها فهى تقدم لنا جانباً من حياة تلك القرية بل ورؤيتهم للحياة، وهى تحكى لشجرة مثلها، غير أنها صغيرة بما يعنى أنه من الضرورى أن يعرف الصغير تجارب الكبار للاستفادة منها.. هنا حديث الشجرة للشجرة.. حديث تم تفجيره بالسؤال.. والكاتب يميل لأن يتحدث الشيء مع نظيره فى الجنس والنوع حتى لا يتساءل الطفل هل يحدث الإنسان الشجرة خاصة مع هذه السن المتقدمة التى تتجه إليها القصة من ٨: ١٢ سنة.. كما أنه أعطى للشجرة خصائصها عند الكلام والحركة ليؤكد ذلك.. مثل قوله:

«وتنهدت الشجرة العجوز مع الريح» (ص ٣).

الحوار والشخوص

أفرد الكاتب مساحات كبيرة للحوار الذى شارك فيه قطاع كبير من الشخوص بالقرية، ليصل بأهمية الشجرة إلى فئات المجتمع المختلفة داخل القرية والمتمثلة فى التلاميذ/ المعلم/ المهندس/ الناظر/ مدير تفتيش الرى/ المقاول/ بائع الذرة/ وكيل المقاول/ سيدات من القرية/ النشّار/ العمدة/ ضابط النقطة/ الفتيات/ رجال القرية/ أهل البلد/ ثم يشار إلى الحكومة باعتبارها السلطة.

اللغة

جاءت اللغة فى نضارة الشجرة، وفى بساطتها أيضاً فأثر المنشار ماهو إلا جرح أصاب شجرة الكافور ذات يوم، ويظهر هذا الجرح للشجرة الشابة أثناء معاودتها التأمل، واستخدمت عبارات مثل «ضعى نفسك مكانى» على

لسان الشجرة لرفيقتها لمحاولة تنشيط خيال الطفل، وننتقل مع حكاية الشجرة وهى تتمثل لنا كالإنسان يشعر بالألم والحزن والفزع.

«جعلنى الفزع أتوقف عن امتصاص عصارتى، وسرى الألم حتى وصل إلى أطراف أغصانى، وبدأت أوراقى ترتعش» (ص ٦).

«ولأول مرة فى حياتى الطويلة أحس بما كنت أسمع الناس يتحدثون عنه كثيراً.. أحسست بالحب، فقد كانت حرارة أجسام الأطفال تتسلل من صدورهم وأذرعهم إلى جذعى فأشعر أننى أصبحت جزءاً منهم» (ص ٨).

وهكذا يمضى الكاتب إلى امتزاج لغوى رقيق، ليتوحّد خلاله الإنسان بالشجرة، والشجرة بالإنسان.

الخيال والواقع فى القصة

الخيال فى مغامرة زهرة موظفٌ لجمع أطراف الواقع وكشفه، فبينما نرى الشجرة تحلق بنا فى حديثها لرفيقتها إلى آفاق شعرية، وتحدثنا عما تراه وتشاهده، وتبتسم وتحزن وتتألم وتشعر، فنرى فى النهاية إصرار الكاتب على تأكيد حدوث المغامرة، فنراه يؤكد ذلك:

«والآن وقد مضت سنوات على هذا الذى حدث، نشاهد أمام باب مدرسة الاجتهاد فى قرية البياضية بمحافظة المنيا بصعيد مصر شجرة كافور عملاقة يظهر فى جذعها أثر واضح لمنشار، وبجوارها بقايا جذع ضخم لأختها التى تم قطعها غدراً.. لكن يوجد أيضاً إلى جوارهما، وعلى طول الطريق إلى القرية صف طويل من أشجار حديثة، تنشر الظل والهواء الرطب على تلاميذ المدرسة وهم يلعبون تحتها، أو وهم قادمون من بيوتهم أو عائدون من المدرسة» (ص ٣٨).

قيم في نسيج القصة

يمكننا أن نمسك بالعديد من القيم التى جاءت فى القصة، والتى يريد الكاتب غرسها فى نفوس أطفاله، نعثر فى البداية على قيمة التأمل التى تمارسها الشجرة الشابة، وتعطشها لمعرفة سبب الجرح القديم الذى أصاب الشجرة العجوز لتعرف وتتعلم وتفهم ما يدور حولها من خلال استقراء تاريخ الشجرة، وننتقل إلى قول الشجرة العجوز:

«لولا هذا الجرح لما زرعوك، ولما اهتم أحد بميلادك أو حياتك» (ص ٣).

وهنا إشارة للثورة التى حدثت ضد أعداء الشجرة والتى انتهت نهاية سعيدة بانتصار الشجرة وأعوانها وزراعة المزيد من الأشجار، يقول الكاتب عن الشجرة الشابة:

«وتملّكها حب الاستطلاع..» (ص ٣).

وحب الاستطلاع هو البداية لمحاولة المعرفة، وبعد ذلك يأتى التمكن من معرفة الشيء، وتظهر قيمة العطاء فى قول الشجرة:

«أقدم الظل للأطفال والحيوانات» (ص٤).

ويتجلى حب الأشجار عبر السطور، حتى الثورة لصالح الشجرة انطلقت من أمام مدرسة «الاجتهاد».

وتظهر صفة الوفاء فى دفاع الأطفال عن الشجرة وحمايتها من النشّار، ويظهر دور الشجرة كقيمة فى حياتنا، فهى تعطى الظل، وتعطى الجمال، وتمنح الأولاد فرصة للعب حولها، ويأتى استنكار عادة الرشوة وإدانتها فى أحداث القصة انتصاراً لقيمة الشرف والطريق القويم.

وتؤكد القصة على قيم كثيرة منها قيمة الانتماء وقيمة الحوار والاجتهاد وغيرها من القيم التى تأتى فى سياق القصة.

البنت فى كتابات الشارونى

تحظى البنت الصغيرة بمكانة كبيرة لدى الأديب يعقوب الشارونى، وهو يرى أنها تسهم بدورها فى التنمية، وتضيف من روحها المبدعة فى مجالات الحياة، وتأثيرها فى نفسه جعلها جديرة باهتمامه، فهو يحلم معها ويحلم لها بمستقبل مشرق، لذا نراه بين قصة وأخرى يقدم البنت باعتبارها شخصية محورية فإذا كان «محمود» قد تحدى الصعاب فى «سر الاختفاء العجيب» ومنصور فى «مغامرة البطل منصور» وعاصم فى «صندوق نعمة ربنا» وخالد فى «شجرة تنمو فى قارب».

فهو أيضاً قدم نموذجاً للبنت الناجحة التى حققت ما تتمناه بعد جهد ومثابرة، وهى شخصية «محاسن» فى قصة «مفاجأة الحفل الأخير»، وفى هذا العمل «مغامرة زهرة مع الشجرة» لا نرى زهرة بطلة القصة فحسب، ولكنها أيضاً تحظى بشرف التواجد فى العنوان، ومع أن الأولاد شاركوها ثورتها ضد أعداء الشجرة إلاّ أن الكاتب نسب المغامرة لها دون غيرها انطلاقاً من اهتمامه بالبنت.

والأستاذ يعقوب الشارونى ينظر إلى كل من يحقق هدفه بعد كفاح على أنه شجرة وسواء كان ولداً أو بنتاً، راجع عنوان [شجرة تنمو فى قارب] إشارة إلى خالد بطل القصة، لكنه أيضاً يعطى للبنت صفة الزهرة، وهى الأخرى «نبات» ورغم صغر الزهرة إلاّ أنها دافعت عن الشجرة بصمود.

الرسوم

بريشة الفنان عبدالرحمن نور الدين، جاءت لوحة الغلاف موفقة بحس رقيق مرهف.. الأولاد وهم يتحلقون حول الشجرة فى حالة انتظار وتوثب وقلق وترقب، والشجرة فى المنتصف تنطق ملامحها بالبراءة والدهشة والسعادة.

واختلاف لون الشجرة باختلاف الحالة.. والخلفيات هادئة والقرية بملامحها الأصيلة.

(ص ١) صورة معبرة لصاحب الشمسية بما يشير بالتباين الواضح بين ظل الشجرة وظل الشمسية.

ثم (ص ٢) لوحة لزهرة وهى مبتسمة فى اتجاه (ص ٢) حيث نرى صورة للشجرة فى أقصى اللوحة.

(ص ٥) التركيز على المنشار.. ولون الشجرة فى هذه الصفحة تمتزج فيها الزرقة مع السواد لتأكيد حالة الفزع.

(ص ١٣) صورة لطيفة للشيخ زيدان راكباً حماره فى خط متواز مع شريط القرية.

تزيع اللوحات موفق والرسوم لطيفة.

• مقاومة الطفولة للمحتل

«ليلة مظلمة فى نهاية شهر عسل»

العدوان لا يفرق بين كبير وصغير، بل يستهدف الصغير قبل الكبير، فعندما يوجّه الجندى الإسرائيلى الضربة إلى جمجمة الطفل الفلسطينى فإنه يقصده تماماً، وعندما تموت ملايين الأطفال فى العراق الحبيب فإن الذين دبروا حصار العراق يقصدون ذلك تماماً، وفى ظل اجتياح العدو لأوطاننا يجد الطفل نفسه وجهاً لوجه أمام العدوان، ولن ينجح الكبير غالباً فى حماية صغيره على النحو الذى رأيناه فى مشهد الطفل محمد الدرة، الذى احتمى بظهر أبيه لكنه لم يفلت من عدوه المجرم، من هنا أدرك الطفل الفلسطينى أنه محاصر فى كل الحالات، ومقصود فى كل الحالات، فخرج يواجه عدوه دون خوف وبجسارة فائقة، ومن هنا لابد أن يكون أدبنا العربى على مستوى هذه الجسارة، وخاصة أدب الطفل، يجب أن يعرف طفلنا ما يمكن أن يقابله من مخاطر وتحديات، وعليه أن يتسلح منذ الصغر بالعلم والوعى كى يشق طريقه نحو التحقق.

من هنا يجب ألا نعزل الطفل عن واقعه، كما يجب أن يعرف تاريخه جيداً من خلال نصوصنا الأدبية، فالمخاطر تتكرر مثلما يعيد التاريخ نفه، لكن باستيعاب الدروس نتحاشى الأزمات، والقصة التى يحبها الطفل يمكن أن تكون همزة الوصل الرائعة فى هذا الشأن.

وفى قصة «ليلة مظلمة فى نهاية شهر عسل» للكاتب يعقوب الشارونى والصادرة فى كتاب حكاية طارق وعلاء عن دار المعارف نجد أن هناك فرصة طيبة للطفل لمعرفة مفهوم المقاومة، ويقاوم مَنْ؟ ولماذا يقاوم؟ سيعرف الطفل من خلال بطل القصة الطفل «فتحى» ومعه الطفل الآخر [الراوى فيما بعد] كيف أنهما يقاومان، فالاحتلال الإنجليزى لم يميز أيضاً بين كبير وصغير، والمطلوب الآن من تلاميذ المدرسة الصغار أن يقوموا باستقبال مستر جراى مدير المدرسة الإنجليزى وزوجته مسز جراى بعد عودتهما من قبرص بعد قضاء شهر العسل، فهما يسكنان فى الطابق الثانى للمدرسة، وينبه وكيل المدرسة المصرى أن يكون الترحيب فى الغد وفى طابور الصباح المدرسى.

واختيار الكاتب مكان الترحيب في الطابور يصّعد من استياء المتلقى الصغير، الذى يعرف أن الطابور للوطن، وأن التحية فيه للعلَم، والصياح بالنشيد القومى، لكن مع الأسف الطابور هو الآخر سيصير محتلاً، هيمن عليه الإنجليز، والآن يتم تخصيصه للترحيب بهذا المحتل.

لكن فتحى المصرى كان له رأى آخر، فعندما أتى التلاميذ فى صباح اليوم التالى مبكراً، لم يظهر مدير المدرسة الإنجليزى مستر جراى ولا وكيل المدرسة المصرى، بل دخل التلاميذ مباشرة إلى الفصول تحت إشراف المدرسين مما يدل على أن شيئاً ما قد حدث.

ويستدعى وكيل المدرسة صديق فتحى [الذى سيكون راوياً فيما بعد] للتحقيق، وهكذا تدخل تحقيقات المحتل التى يمارسها فى الشارع المصرى، تدخل إلى أطفالنا داخل الفصول، وبالطبع تأتى إجابة الراوى لصالح فتحى، ونعرف بعد ذلك ما حدث عندما يهمس فتحى فى أذن صديقه.

«عندما وصل مستر جراى وعروسه مع حلول الظلام إلى بيتهما بالدور الثانى من المدرسة ومعهما يوسف أفندى وكيل المدرسة وجدوا أنفسهم فى ظلام دامس، واكتشفوا وقد ملأهم الغيظ أن التيار الكهربائى مقطوع من المدرسة كلها» (ص ٣٤).

ويضيف:

«لقد اكتشفوا أن هناك من انتزع بريزة الكهرباء الرئيسية الخاصة بالمدرسة كلها، وظلوا طويلاً يبحثون فى الظلام عن شموع أو بطاريات يدوية، والمدير الإنجليزى مع زوجته يقفان فى قلق على بسطة السلم وسط حقائبهما لا يعرفان ماذا يفعلان ولا يجروءان على دخول شقتهما خوفاً من مفاجآت غير متوقعة» (ص ٣٧).

ويضيف فتحى دون أن يخبر صديقه أنه هو الذى وراء ذلك:

«يظن وكيل المدرسة أننى الذى نزعت البريزة وأخفيتها» (ص ٣٨).

وهنا يتذكر الراوى أغلفة كراسات فتحى الحافلة بعبارات مثل: «يسقط الإنجليز»، «اخرجوا من بلادنا».. ويتذكر حكايات فتحى عن أخيه واشتراكه فى مظاهرات المدارس الثانوية ضد الوجود الإنجليزى فى مصر، وهنا يدرك الصديق أن فتحى هو الذى فعل ذلك، لكنه لم يقل له ذلك، بل يدخل الطمأنينة إلى قلبه:

«لكنى متأكد أنك كنت معى!!» (ص ٤٠).

ويرد فتحى بحذر المقاوم وفى تأكيد شابته لهجة غامضة:

«طبعاً كنت معك!!».

وهكذا نجد أنفسنا أمام ملامح البطل الصغير فتحى، ابن لأسرة مصرية أصيلة، تدرك معنى المقاومة، ويشارك أحد أفرادها فى المظاهرات، ومن

خلال أغلفة الكراسات تظهر لنا بعميق الأعماق النبيلة لهذا البطل الصغير، أنه يخط على أغلفة الكراسات:

«يسقط الإنجليز.. اخرجوا من بلادنا».

ويبرز هذه العبارات على الأغلفة، وكأنه يعرضها للناس، يتسلح بوعى المقاوم الذى وعاه من تلك الأسرة الطيبة، إنه يحكى للراوى بهمس عما حدث ليوصلِ رؤيته وفرحته بالنصر، ولا يرى ضرورة فى الإعلان عن اسمه فليس مهماً الاسم، المهم أن يكون المقاوم مصرياً، وهو لا يخبر صديقه، ولا يطلب صديقه تصريحاً بذلك.. ويتم الكشف عن ذلك بعد ست عشرة سنة حين يلتقيان، بعد أحداث العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ورحيل آخر جندى إنجليزى من بورسعيد بعد فشل ذلك العدوان، ويلتقى فتحى وصديقه الذى صار راوياً لنا الآن، وتنبعث ذكرى المقاومة، مقاومة الطفولة للمحتل.

«وبغير مقدمات وجدته يسألنى: هل تتذكر بريزة الكهرباء التى أغرقت المدرسة فى الظلام يوم عودة مديرها الإنجليزى من شهر العسل؟ قلت له: وأذكر دفاعى القوى عنك» (ص ٤١).

«وأكمل صديقى فتحى يقول: من حقنا الآن أن نقول إننا شاركنا فى مقاومة الوجود الإنجليزى فى مصر ونحن لانزال نرتدى البنطلون القصير بالمدرسة الإنجليزية الابتدائية بجزيرة الروضة!».

وهكذا يكون فخر الكاتب بالمقاومة التى يحرص على أن يغرسها فى نفوس أطفاله الصغار الذين يواجهون تحديات كبيرة فى عصر العولمة تجعل مفهوم المقاومة يتسع ليشمل العديد من الاتجاهات كما يشير محمود أمين العالم.

«فالمقاومة ضرورة إنسانية مطلقة فى تحقيق الذات الإنسانية، وهى مشروعة فى مختلف تجلياتها فقد تتجلى المقاومة فى أبسط الأمور كما تتجلى فى أرقاها فكل إزالة لعقبة في طريق الإنسان هى مقاومة، وكل اكتشاف علمي يحقق للإنسان مزيداً من الصحة والسعادة ومزيداً من السيطرة على ضرورات الحياة ومزيداً من التجدد والازدهار هو مقاومة.. مقاومة للجمود ومقاومة للتخلف ومقاومة للقبح وللمرض ومقاومة للموت».

وهكذا نجد الطفل فى حاجة دائمة لمعايشة حقيقية لفعل المقاومة ويحتاج إلى روحها وتجلياتها عبر إبداع أدبى حقيقى ونوعى فى مجالات الإبداع المختلفة.

غير أن أرقى أشكال المقاومة فى تقدير محمود أمين العالم هى «المقاومة المجتمعية الوطنية فليس هناك أشرف فى عالمنا المعاصر بوجه خاص من الدفاع عن الهوية الذاتية والوطنية والقومية للأمة فى مواجهة محاولات استتباعها أو تجميدها أو طمسها» وفتحى بطل القصة هو ابن لأسرة تربت على هذه المفاهيم، وعايشتها بشكل تطبيقى، وخطها بكيانه على أغلفة كراساته، فالغلاف هو بداية الكتاب وبداية الكراسة، وهو أيضاً المفتتح، ولن تكون هناك بداية، ولن يكون هناك مفتتح علمى حقيقى إلا إذا كان هناك استقلال حقيقى وصون للذات وللخصوصية وللهوية، ولن يتحقق هذا العلم فى ظل التبعية المرفوضة، وهكذا يدخل أدب الأطفال بالنماذج الأدبية المتميزة التى يقدمها كتابنا، ومعها هذا النموذج للكاتب يعقوب الشارونى إلى ميدان المواجهة، مواجهة طمس الهوية، وتنشئة الطفل وفق ما يريده الآخر.

وفى قصة «ليلة مظلمة فى نهاية شهر عسل» نرى قيادة المدرسة الشرفية لمدير المدرسة الإنجليزى، بينما قيادتها الحقيقية لوكيل المدرسة

المصرى الذى يدير المدرسة فى غياب المدير الإنجليزى، الذى ذهب لقضاء شهر العسل فى قبرص، وكأن منصب المدير لا يليق بابن الوطن، ولكنه يليق بالمحتل!!

وهكذا نجد الأطفال فى مواجهة تداعيات الاحتلال وهم يواجهون دائماً كل المخاطر عبر قصص يعقوب الشارونى، وهو يتناول الأحداث الجسام فى كتاباته للطفل بجرأة، ويتصدى لمشكلات الطفل أياً كانت اجتماعية أو نفسية.

وقصصه فى الحقيقة تتصدى لقبح الواقع، وتلم بمفردات اللحظة الآنية، فأدب الطفل الحقيقى لا يكتفى بعالم الصيادين وروّاد الفضاء ولكنه يمتد إلى أفق أكثر رحابة واتساعاً.

إنه يقدم رؤية أخرى للواقع المعاش، وليس مجرد نقل صورة فوتوغرافية، لذا نجد أبطال قصصه من الذين يعيشون الواقع: المدرس/ بائع الخبز/ نجار مسلح/ البقال/ الكاتب/ الطبيب/ الصيدلى/ الصحفى/ الفلاح.. وغيره.

وبهذا يرى الكاتب أن له دوراً ورسالة يسعى لتحقيقها مع أطفاله ليحقق معهم طموحه وطموحهم وأنه ينقب فى الماضى كثيراً، وقد يعاود مع أطفاله قراءة التاريخ لكنه يضع المستقبل نصب عينيه.

وهو ما تؤكده هذه القصة «ليلة مظلمة فى نهاية شهر عسل».

● كتاب

«أجمل الحكايات الشعبية»

رؤية نقدية

للحكاية الشعبية طعم خاص، وروح خاصة، وسحر خاص، وهى تنفرد بخاصية الإجماع عليها، والتحلق حول راويها، إنها تختزل خبرات السنين، وتمتزج بآلام الآخرين، وتتوغل في عمق الإنسان، وتمنحه أجنحة للطيران.

فى الحكاية الشعبية لا معنى للسؤال عن الممكن وأنت تقرأ أو تسمع، فالإجابات حتماً ستأتيك فى منطق بديع، وأنت تعتلى ظهر الحكاية، وتسافر بعيداً أو تحط قريباً لا تسأم من سفر ولا تمل من مكان، المهم أن تترك نفسك لسحر الحكاية، حيث يكون العالم أجمل مما هو عليه، الخير يسود، والظلم ينزاح، والأمل قائم حتى آخر كلمة..

تلك هى الحكاية الشعبية التى كانت وستظل منبعاً ثرياً للأدباء، ووعاءً ذهبياً لدراسة أحوال الناس عبر العصور.

لكن ماذا عن الحكاية الشعبية للطفل، هذا هو السؤال، إنها رفيقته منذ الصغر، وموطن دهشته ومتعته، ومن هنا أدرك الأستاذ يعقوب الشارونى أهمية تقديم الحكاية الشعبية للطفل، وهو فى كتابه «أجمل الحكايات الشعبية» يقدم منهجاً لطريقة التعامل مع الحكايات الشعبية عندما نقدمها لأطفالنا، ما الذى يجب حذفه وإضافته، ما الذى يحتاج إلى غلالة رقيقة

لإخفاء صدماته، بالطبع دون المساس بجوهر الحكاية، والاحتفاظ بخصائصها الشعبية، وهذا الكتاب الذى أعده الكاتب يعقوب الشارونى يجيب على هذه الأسئلة من خلال الملامح التى تميزت بها الحكايات الشعبية التى قدمها للأطفال.

الاختيار

الحكايات الشعبية متعددة وكثيرة، وحين يقترب منها كاتب الطفل فلأنه رأى فيها ما يمكن أن يُقَدِّم للطفل من سعادة أولاً وإثارة دهشته وتحريضه على إثارة الأسئلة التى تسهم إجابتها فى اتساع مداركه وتعريفهِ على عوالم أخرى غير مدرك لها، حكايات تغذى خيال الطفل وتجعله يرى العالم من منظور آخر، حكايات لا تستهين بمتلقيها، ولا تكتفى بتعريفه بطبيعة الصراع على أرض الواقع، وإنما تجعله يعيش هذا الصراع ويشارك فيه.

جميلة خطفها الغول.. لماذا خطفها.. وما السبيل لاستعادة جميلة.. وجميل لا يهدأ.. بل يواصل رحلته، مستعيناً بالعجوز التى تعطيه مفاتيح الوصول..

الشر إذاً حتمية لابد أن يعرفها الطفل.. ومن خلال الحكاية يمكن أن أقدم له أبعاداً أخرى، فجميلة هذه قد تكون «فلسطين» وجميل هو العربى الذى يسعى لاستردادها.

يمكن تقليب الحكاية الشعبية على وجوه متعددة لتعطى الطفل أبعاداً كبيرة.. ثم حكاية الشاطر حسن الذى يصرع الأميرة الشريرة ومع أنه قوى إلاَّ أن قوته عند الحق وهو صاحب الحياء الشديد والمغامرات الجميلة.

الحيلة

حين برز الثعلب يوماً [فى قصيدة لأحمد شوقى] فى ثياب الواعظينا فمشى فى الأرض يهدى ويسب الماكرينا.. استطعنا أن نكتشف مكر الثعلب

من البداية، ذلك لأننا نعرف تاريخه من خلال حكايات له زاخرة بالمكر والدهاء، غير أن الثعلب صار علي مر العصور يتلوّن وتتبدل ملامحه وفق ما يحتاجه الظرف حتى لا يكشفه أحد..

والطفل يجب أن يعرف أن هناك شراً فى هذا العالم كما هو حافل بالخير، وتتيح الحكايات الشعبية التى اختارها يعقوب الشارونى للطفل التعرف على العديد من الحيل.

هناك الحيلة التى خُدِعَت بها البنت جميلة عندما طُلِبَ منها أن تلقى بحيلها فى البئر.

وهناك حيلة الأميرة لخداع الشاطر حسن، الذى تفوق عليها فى المصارعة بأن أعطته المخدر فى عصير البرتقال كى تتغلب عليه.

وفى «هدايا فيروز» الحيلة فى سرقة الجحش، وفى «البئر العجيبة» الأخت العابسة وأمها تدبران أمرهما للحصول على الثروة التى حصلت عليها الأخت الطيبة، ثم هناك حيلة لكنها هذه المرة حيلة طيبة، الأميرة التى تصنع البطولات وتنسبها لزوجها..

ويظهر مكر العالم للطفل من خلال هذه الحيل فيعى ما يبطنه المحتالون وما تخبئه القلوب الشريرة فى سراديبها المظلمة فيحتاط ويحذر، ويفكر ويتدبر حتى يجتاز معترك الحياة بنجاح.

اللغة

تمتاز الحكايات الشعبية عموماً ببساطة اللغة وسلاستها، لكنها قد تجنح أحياناً نحو اللا مألوف من الأسماء والأماكن والصفات، وهنا تكون براعة من يعيد صياغة هذه الحكايات، فى تقديم كلمات أخرى ملائمة تؤدى

الغرض، وتقرّب المعنى، وتضفى روحاً عصرية على الحكايات، وقد وفق الكاتب فى استخدامه لمفردات معبرة وملائمة مثل الفندق - الستائر - حفل الزفاف - النقود - العالم - لا يرحب بصداقتها.. كمية كبيرة.. وغيرها من الكلمات، امتازت اللغة بالبساطة وجنحت أحياناً نحو الشعر، ومن المهم أن تكون الكلمات بسيطة دالة غير معوقة لانطلاق الخيال:

«وكانت جميلة فتاة فى غاية الجمال».

«أما جميلة فقد تزوجت جميلاً وظلت تزداد جمالاً على جمالها».

«شاركنى هذا الطعام البسيط».

«ياعم الغول لا تأكلنى».

«إنه تمر ممتاز».

«هل يكفيك هذا مهراً».

«أريد أن يمر أمامى كل مَنْ بالبستان من إنسان وطير وحيوان».

ملمح تربوى

هناك قيم كثيرة قدمتها الحكايات الشعبية وقد عالجها الكاتب وأبرزها بأسلوب متميز مثل قيمة الاستئذان «لابد أن أستأذن جد جميلة أولاً»، ثم الكرم والإيثار «شاركنى هذا الطعام البسيط»، وحسن التخاطب «يا خير الأزواج».

ثم الانتصار للجوهر على حساب الشكل «لماذا تحكم على الأشياء من ناحية الشكل يا أبى؟».

«لأجل طيبة قلبك وكرمك وعطفك على الغرباء سأنصحك نصيحة».

ثم الأميرة البارة بوالديها، وقيم أخرى كثيرة تبرق كاللؤلؤ عبر كل حكاية.

العجوز فى الحكاية الشعبية

تأتى العجوز فى الحكاية الشعبية رمزاً للحكمة والعطاء والخير، فهى تفسر ما استعصى على البطل فهمه، ثم تتركه يحسم معركته بنفسه، فها هى تساعد «جميل» فى البحث عن محبوبته جميلة، وتعطيه الأسلحة عن طيب خاطر، ولا تعطى هذه الأسلحة بالطبع إلاَّ لمن التمست فيه صدقاً ونبلاً..

والعجوز أيضاً هى التى ترشد الشاطر حسن إلى الأميرة الشريرة كى يمنع أذاها عن الناس.

والعجوز أيضاً هى التى تكافئ أمينة على إخلاصها وطاعتها وتعاقب جميلة على مكرها وتمردها، وهى التى تضع الماسة للفقير شعبان لنعرف فى النهاية أن الماسة الحقيقية هى ابنته الجميلة البارة بأبيها وأمها، وهى ليست عجوزاً خاملة فقد تعرف عليها الشاطر حسن وهى تبيع الترمس، وتنادى هذا بقرش وهذا بقرشين وهذا بثلاثة.

المعلومة فى الحكاية الشعبية

تحفل الحكاية الشعبية برصيد معرفى كبير، يأتى هادئاً فى ثنايا الحكاية ومبعثراً عبر امتداد الحكى، لكنه فى النهاية يقدم للطفل وجبة معرفية مهمة، فيعرف الطفل فى هذه الحكايات أن الاحمرار فى العين مرض، لكنه جمال فى الوجنتين، واصفرار الشعر جمال على عكس بياضه، ثم يتعرف الطفل على زى الفارس، الذى كان يخوض به الحرب كالدرع

والسيف والقوس والسهم فى حكاية الأمير الجبان، ويتعرف أيضاً على شموخ النخل وثمره الناضج وثمره الأخضر، والورد فى روعته وأهمية سقايته والاعتناء به، وغيرها من المعلومات غيرالمقحمة، ولكن تم توظيفها بشكل فنى جميل لتغذية الطفل برصيد معرفى متميز.

ملمح المرأة فى الحكاية الشعبية

تحظى المرأة فى الحكايات الشعبية بمكانة لائقة، فهى ليست بخاملة، وإنما هى رمز الحكمة، تجسد ذلك فى شخصية العجوز، ورمز الشجاعة والنضال تمثل ذلك من خلال شخصية الأميرة، التى حولت الأمير الجبان إلى مقاتل استطاع أن ينتصر على خوفه قبل أن ينتصر على عدوه، وهى الجميلة الفاتنة التى يبحث عنها الشاطر حسن رغم المخاطر، وهى المهذبة والطيبة والوفية والنبيلة، ثم هى فى وجهها الآخر- السيئ- جاءت لتبرز النقيض الذى يتمثل فى الخير والعطاء والجمال، ثم هى التى تزيد من ألق القص وتنامى الحدث وقلقه وتوتره.

ملمح التطور

تحول الشيء إلى شيء آخر فى الحكايات الشعبية ينبه الطفل إلى خصائص المتحول والمتحول إليه، فالأمير إنسان له ملامحه وصفاته.. والكلب له ملامحه وصفاته، وهذا التحول يقدم للطفل وجبة من الدهشة والخيال، ثم هؤلاء البشر الذين يتحولون إلى تماثيل ثم يعودون مرة أخرى إلى سيرتهم الأولى.

الرسوم

الرسوم بديعة، بريشة فنان جميل ـ حلمى التونى .. موغل فى التراث، ملم بمفرداته وتفاصيله، عاشق للتراث الشعبى، الرسوم تحيلك إلى جو طفولى جديد، وتنبهك إلى ثقافتنا الشعبية الفنية.

إنها حقاً من أجمل الحكايات الشعبية مصحوبة بأجمل الرسوم الشعبية.

● سياحة

فى

«ألف حكاية وحكاية»

خصصت جريدة الأهرام منذ سنوات عديدة (منذ نوفمبر ١٩٨١) باباً خاصاً للأستاذ يعقوب الشارونى تحت عنوان «حكاية أعجبتنى»، ثم تغير بعدها بسنوات إلى «ألف حكاية وحكاية» لم تكن مساحة الباب فى الحالتين كافية لإثارة تفاصيل أو تقديم فضفضة، فقد كان المطلوب ألا تتجاوز كلمات المساحة عن مائة وستين كلمة، من هنا كان على الكاتب أن يجتهد مرتين:

الأولى: عندما يكتب حكاية بشكل دورى لكى يلحق بماكينة الطباعة.

الثانية: عندما يسعى للتركيز الذى يناسب المساحة، وعليه أيضاً أن يراعى توافر عناصر القصة دون إخلال.

من هنا طرق الشارونى شكلاً محبباً من أشكال القصة، وهى القصة القصيرة جداً، التى يمكن أن تكون وجبة سريعة يتم تناولها فى وسيلة المواصلات، وتكون أحياناً فى شكل طلقة، أو لوحة يمكن أن تطالع من خلالها اختلاف الألوان وامتزاجها، أصبحت المائة وستون كلمة هى الفضاء أو الإطار الذى ينبغى أن يتحرك فيه الكاتب، فلا يخرج عن سقف هذا الإطار بكلمات أكثر، وقد نجح الكاتب فى ذلك، لكنه أيضاً نجح فى اختراق السقف وتجاوزه بما يتركه من أثر فى النهاية، جاوز الإطار إلى

عالم أكثر رحابة، وهكذا تكون قيمة التركيز، وأتصور التركيز فى أدب الطفل ينبغى أن يكون ذا طبيعة خاصة فالإحكام فيه هو القدرة على تبسيط المعنى وتعميقه.

من الذى سيقرأ هذا الباب؟

فِى الواقع أن هذا الباب كُتب للطفل فى جريدة للكبار، أى أن الكاتب حمّل الكبار أمانة التوصيل للصغار، فالطفل لن يذهب لشراء جريدة الأهرام لكى يبحث عن مساحة مخصصة به للطفل.

من هنا كانت أهمية الوسيط الذى سينبه لذلك، لكن المشكلة فيما أتصور أن الكبار كانوا يلتهمون المائة وستين كلمة عن آخرها غير تاركين على المائدة شيئاً للصغار، وقليلونٍ من تحملوا عناء النقل للصغار.. هل يعنى أن هذا الباب الصغير قد حوّل الكبار إلى أطفال؟ ربما، وربما ساعد أيضاً قطاعاً كبيراً من الأطفال على معرفة العالم عن طريق الوسيط، الذى تبنى توصيل الأمانة للطفل لاشك أن هذا يعدُّ نجاحاً كبيراً للكاتب الذى يكتشف أهمية وجود هامش للطفل إلى جانب المساحة الكبيرة للكبار، ويعدُّ أيضاً نجاحاً للصحيفة التى حرصت على أن يكون للطفل نصيب فى أبوابها، ثم يأتى النجاح الكبير عندما يتم جمع هذه الحكايات للطفل فى ثوب مناسب له، ومحلاة بالرسوم الجميلة للفنان عبدالرحمن بكر ثم الفنان الكبير عادل البطراوى ونسيم وتامر الشارونى لتكتمل الأنشودة الجميلة ولا تكتفى دار النشر بذلك وإما تحرص على إصدار هذا العمل الجميل فى مجموعة من المجلدات بثمن زهيد يمكّن الطفل من شرائها والاحتفاظ بها.

اقرأ لطفلك وتنمية عادة القراءة عند الأطفال

قلنا فى مستهل حديثنا أن المساحة المخصصة للشارونى كانت تحت عنوان «حكاية أعجبتنى» والمطلوب من المتلقى لصحيفة الكبار أن يقرأ

الحكاية لطفله، أى أن المسكوت عنه هنا قولنا: «اقرأ لطفلك» وهو الشعار الذى تم اختياره فى مهرجان القراءة للجميع بعد أكثر من خمسة عشر عاماً من عنوان الباب الذى كان يكتبه الأستاذ الشارونى، وهو ما يؤكد امتزاج الرجل برسالة القراءة وأهميتها لدى الأطفال وبعدها صدرت طبعة ثانية وثالثة من كتابه «تنمية عادة القراءة عند الأطفال».

هكذا تنوعت مساهمات يعقوب الشارونى فى هذا الباب، فقد أبرز من خلاله مواد علمية وأخرى تراثية، واهتم كثيراً بجانب كبير من المتابعات الإخبارية المدققة والمشوقة، ليجعل الخبر وسيلة للدخول إلى القيمة التربوية أو المغزى السلوكى، لكن أهم مساهماته فى هذه المساحة الصغيرة هو تركيزه على تقديم مجموعة من القصص القصيرة جدًّا من آنٍ لآخر ليؤكد أن الكاتب المتميز قادر على إجادة اللعب مهما صغرت مساحة الملعب الذى يتحرك فيه.

القصص القصيرة جدًّا

لأن الوجبة سريعة، والإيقاع أكثر سرعة، ولأن الممسك بالصحيفة يجب أن يكون متسقاً مع سرعة الإيقاع من حوله، فلابد أن يكون كل شىء قد حدث، والكاتب صارت لديه معرفة ببداية الحدث حتى آخره، فيبدو وكأن المساحة المخصصة للكاتب قد بسط الحدث نفوذه عليها، فجاء كل شىء متلاحقاً وساخناً، لذا سيكون للفعل الماضى دوره المهم.

«فوق الرمال»

ففى قصة «فوق الرمال» انطلقت سمكة من أسماك القرش خلف سمكة من أسماك التونة تطاردها وتريد أن تقضى عليها، لكن سمكة التونة كانت تسبح بسرعة وقوة فطالت المطاردة.

وبذلت سمكة القرش جهداً كبيراً، وحاولت التونة أن تنجو حتى وصلتا إلى الشاطئ، وتموتان فوقه معاً، لتؤكد التونة لسمكة القرش قولها «لو عرف المعتدى أن عدوانه كثيراً ما يقضي عليه هو نفسه، لتردد ألف مرة قبل أن يرتكب الشر».

هنا أوصل الكاتب رسالته، بعد مطاردة بين الخير والشر، استخدم كلاهما أسلوبه فى الفوز أو النجاة، وكما يتسبب المعتدى فى هلاك المعتدى عليه، فإن المعتدى يلقى نفس المصير، وكله «فوق الرمال» فلن تستقر الأرض تحت أقدام المعتدى، ولن يهنأ بالحياة بعد اعتدائه الغاشم، وهو درس يمكن أن يصلح مدخلاً للطفل كى يفهم نظام القوى حوله، ومن خلال نجاح سمكة التونة فى أن تدفع خصمها للهلاك يكون الدرس للمقاومة، فسمكة التونة لم تهرب عندما لجأت إلى الشاطئ، ولكنها سعت إلى حصن آمن قد يصد عدوها، لكن العدو هو العدو، دخلت القصة بنا على الفور إلى مكان المطاردة فبدأت بكلمة «انطلق» [يشير إلى سمكة القرش] وانتهت بكلمة «الشر» وما بين الكلمتين المبرر لهذا الحكم، كلمات القصة بدت بسيطة مناسبة لأية مرحلة سنية، وجاءت الأفعال لتعبر عن الحدث جيداً، وعن طبيعة الشخصية، فسمكة القرش (انطلقت)، و (بذلت جهداً)، و (أوشكت)، و(اندفعت)، وسمكة التونة المعتدى عليها «حاولت»، و «دفعت»، و «رأت» وفى النهاية لم تقل كلمتها وهى نائمة إنما قالت بعد أن دفعت عدوها إلى مصيره المحتوم، وصار بعد ذلك من حقها أن تتكلم.

النهر والقناة

وفى قصة «النهر والقناة» تبدأ القصة بكلمة «امتلأ» وتنتهى كذلك، على عكس قصة «فوق الرمال» ومجرى النهر هو الذى امتلأ، وتدفق منه إلى

القناة، وقامت القناة تغذى الحقول فارتوت، وفى هذه القصة الجميلة علاقة بالغة التميز بين المنبع والمصب، القمة والقاع، لكل له دوره، وتتأثر عملية الرى عند تعطّل أى منها، فالنهر لا يبخل بمائه، فهو يمنحه للقناة، تتولى القناة مهمة توصيله للأرض كى ترتوى فقد طال اشتياقها للماء، ويحرص الكاتب على إدارة حوار بين النهر والقناة والأرض ليظهر دور كل منها بشكل رائع، فالأرض تهتف: «سيموت الزرع.. هيا يا قناة.. أسرعى بالمياه..» والقناة صاحت بالنهر:

«أيها النهر القاسى.. كيف تضعنى فى هذا الموقف الحرج، فأبدو كمن أخلف وعده لأصدقائه؟!!».

تأمل كيف تأتى قيمة الوفاء بالوعد فى ثنايا الحوار، والوفاء بالوعد يصدر عن الإنسان العاقل الواعى بأهمية الوفاء، والكاتب سعى لأنسنة النهر والقناة والأرض والزرع ليقدم للطفل نبض هذه الأشياء كى يعايشها جيداً، ويقيم حواراً مع كل منها على حدة، إنها القصة السريعة، الدفقة السريعة أيضاً التى تجرى فى الشريان [القناة] كى تتشرب نفوس الأطفال التى هى [الأرض] لينمو «الزرع» ويصبح أكثر نضارة، وهكذا نرى كيف أن لفظة سريعة تم خدمتها جيداً استطاعت أن تقول ما لا تقوله صفحات كثيرة.

نقطة زيت

وفى قصة بعنوان «نقطة زيت» لا تتجاوز المائة كلمة، لكنها تقول أشياء كثيرة فى كلماتها القليلة، أهمية هذه القصة أنها تنبه الطفل إلى أهمية إعمال العقل وتنشيطه بالأفكار الجميلة والخبرات، فالقوة لا تحل الكثير من المشكلات قدر ما يصنع التروى والتعقل، نقطة الزيت هنا هى الفكرة التى جذبت الانتباه، وهى التى جاءت لتؤكد أهمية إعمال العقل:

«لم نكن قد ذهبنا إلى بيتنا فى القرية منذ عدة سنوات، وعندما ذهبنا إلى هناك أخيراً حاولنا فتح الباب الخارجي للبيت فلم نستطع، كان الباب ضخماً ثقيلاً».

وتبدأ محاولات الأولاد فى فتح الباب دون جدوى بالعنف ومحاولة كسره، وانتهت كل المحالاوت بالفشل، حتى يأتى الشيخ الذى هو رمز الحكمة والخبرة، ولأنه كذلك فقد «أفسحوا له الطريق» و «فى هدوء صب قليلاً من الزيت على الأقفال والمزاليج والمفصلات ثم قال: الآن حاولوا فتحه»، عندئذ رأينا فى سعادة مدى السهولة التى انفتح بها الباب.

وهكذا يؤكد النص أهمية المعرفة، وأهمية إفساح الطريق لأهلها من أجل فتح الأبواب المغلقة أمامنا.

فكل ما فعله الشيخ أن وضع قليلاً من الزيت على الأقفال والمزاليج ثم قال: «الآن حاولوا فتحه»، كان بوسع الشيخ بعد هذه الخطوة أن يفتح الباب بنفسه، ولكنه ترك شرف المحاولة للصغار: الآن حاولوا فتحه.

وهو ما يؤكد أهمية أن يشعر الصغير أن له دوراً فى الحياة، ويقارن بين المحاولات الناجحة والفاشلة فى كل شىء، وهكذا تنجح «نقطة زيت» فى إثارة كل هذه المعانى، وتؤكد أن الكاتب يعى تماماً ما الذى يريده من طفله، ومدى طموحه فى هذا الطفل مستعيناً بقدرته على التركيز الذى أجبر عليه لضيق الملعب، الذى يمارس فيه اللعب أملاً فى كل مرة أن يحرز هدفاً يؤكد به قيمة أو يستنكر فيه شيئاً غير جدير بالتقدير.

اغرسى جذورك فى الأرض

ثم فى قصة «اغرسى جذورك فى الأرض» ربما بدا العنوان كاشفاً، لكننا سنجد الحدث منذ الجملة الأولى؛ هبت الرياح فسقطت بلحة من فوق النخلة

العاليـة»، البلحـة بالطبع حـزنت؛ لأنـهـا انفـصلت عن الأم، وهبطت إلى الأرض ولم تعـد ترى مياه النهر ولا المزارع المترامية ولا التـلال، لكن النخلة ترد عليها بأنه قد آن الأوان للانفصال، فقد نضجت البلحة ولا يصح أن تبقى ملتصقة بصدر النخلة.

تقـول لهـا النخلة: «أنا نـفـسى من الأرض، أخـرجى جـذورك بسـرعـة واغرسيها قوية عميقة، وسوف تصبحين أنت نفسك ذات يوم نخلة عالية شامخة».

وهكذا تكون القيمة للطفل والتأكيد على تكوين شخصيته الخاصة، فينجح عندما يواجـه وحده موقفاً، تماماً مثل البلحة التى وقعت للأرض، عليها أن تمد جـذرها فى الأرض وترفع قـامـتهـا نـحـو السمـاء، وهى دعـوة للتـمسك بالأصالة نلمحها فى الكثير من قصص يعقوب الشارونى.

دراجة فى طرقات المطار

لكنه أيضاً فى حكاياته لا ينظر إلى مـا تحت قـدمـيـه، فلتـبـقى الجـذور ثابتة، لكن العين يجب أن تنظر بعيداً إلى ما يدور هناك فى الدول المتقدمة فى محاولة لتقديم نموذج إيجابى يدلل به على احترامهم للطفولة، وهنا نطالع قصة بعنوان «دراجة فى طرقات المطار».

والمطار هو مطار فرانكفورت الدولى، حيث يشاهد طفل مصرى عمره أربع سنوات موظف المطار يركب دراجة صغيرة ويجرى بها فى طرقات المطار.

يتـعلق الطفل بهـا، ويصـرخ طـالباً من أمـه أن يـركب هذه الدراجـة ، ونعـرف أن كل من يعـملون بهـذا المطار يستـخـدمـون دراجات منـخـفـضة

للتنقل بين أجنحة الركاب المتسعة الكثيرة، ويجرى الطفل فى اتجاه الدراجة، ويرى الموظف لهفته فينزل من فوق الدراجة، ويتناول الطفل من أمه ويضعه فوق مقعد الدراجة، ويسير به فى دائرة وسط مكان الانتظار وهو يقول للأم ضاحكاً:

«عندما كنت صغيراً تمنيت كثيراً ركوب مثل هذه الدراجة، ومن حق ابنك ألا ينتظر مثلى خمسة وعشرين عاماً حتى تتحقق أمنيته».

موقف يكفى لصنع ابتسامة رقيقة للطفل، وعندما تحكى ذات الموقف لأطفال آخرين أكبر قليلاً أو كثيراً فى السن سوف يضحكون من قلوبهم، ولابد أننا الآن نتصور شكل هذا الموظف الظريف وهو يقود الدراجة ومعه الطفل، ومن حقنا أن نتخيل منظر الأم الذى لم تتوقف القصة عنده، إنها تضحك الآن من قلبها وهى مندهشة من طريقة التعامل مع الطفل بشكل نموذجى، حيث تحققت رغبة ولدها، ولا أظن أنها كانت ستنتبه إلى تحقيق هذه الرغبة، وحتى لو فكرت فى ذلك فلن تجد ذات الدراجة التى رآها فى فرانكفورت ولن يرضى دونها بديلاً، وإنما يظل حرمانه منها كامناً فى أعماقه.

وتدلل هذه القصة أيضاً على أن الشارونى يستثمر مشاهداته اليومية فى تجواله وأسفاره بحثاً عن الجديد فى عالم الطفولة، وهو ما أشرنا إليه بإسهاب فى اهتمامه بمشكلات الطفل، وهاهو ذات الملمح يلح علينا ونحن نتابع ملمحاً آخر فى كتاباته.

كيف يفكر الطفل فى الحكايات التى يرويها الكاتب ؟

يمكنك بسهولة أن تتعرف على تفكير الأطفال بشكل جيد وأنت تطالع حكايات يعقوب الشارونى وخاصة فى «ألف حكاية وحكاية»، خاصة فى

مشاهدات مهمة للعمل بموجبها فى التعامل مع الطفل، ويمكن الوقوف على هذه الطريقة ونحن نطالع بعضاً من القصص، فى «وجه أمى» يرى أحد الأطفال أن أجمل ما خلقه الله فى الدنيا وردة جميلة، ويرى آخر أن قوس قزح أجمل من الوردة، بينما يرى آخر أن أجمل ما خلقه الله هو وجه الأم الذى لم يره غاضباً.

ويعرض الكاتب فى إحدى حكاياته فيلماً سينمائيًا للأطفال، عندما يطلب المعلم من الأولاد أن يلونوا الفيل، فإن طفلاً ما يلونه باللون الوردى، وبالطبع ينبهه الأستاذ إلى أن الفيل ليس وردى اللون، ولكن الولد كان يحب اللون الوردى، أى أن الطفل له وجهة نظر وله منظوره الخاص..

وعندما تتابع الحكايات ستكتشف الكثير من ملامح ذلك الطفل الذى يريده يعقوب الشارونى، فهو طفل إيجابى إلى حد كبير، يرفض الاستهانة به والاستخفاف بقدراته، لديه قدرة على الابتكار والإبداع تصطدم أحياناً بسقف الوالدين فتذبل هذه الميزة، شغوف بالسؤال، يحب أن يسأل كى يعرف ويتعلم، يحب الحيوانات لأنها طيبة لا تحرق الأرض والحرث ولا تلوث البيئة، يحب أن يكون مستقلاً فى شخصيته، يحاكى ما يراه طريفاً ويستهويه، فى أعماقه قدر هائل من الإبداع، من حقه أن يمرح ويلعب، يرفض الطرق التقليدية فى المعرفة، ويجب أن يرى معلمه وقد صار جزءاً منه.

وفى حالة من حالات التوحد مع الأطفال يسوق الشارونى حكاية طريفة تحت عنوان «مثلها تماماً».. تصاب المعلمة فى حادث تصادم، ويتم خلع سنتيها الأماميتين، ويقول لها الطبيب لا يمكن زرع أخريين إلا بعد أن تشفى اللثة تماماً، وتبتسم المعلمة وهى تقول:

«هذا لا يهم كثيراً، فأنا أدرّس لتلاميذ المرحلة الأولى وكلهم أطفال سقطت أسنانهم مثلى تماماً».

العلم في ألف حكاية وحكاية

يشغل العلم مساحة كبيرة من «ألف حكاية وحكاية»، حيث نرى توصل العلم إلى زراعة النباتات التقليدية فى المناطق الرملية التى تندر فيها المياه، وفى مدينة ديزنى يشير الكاتب إلى منطقة حافلة بالأنابيب والقطع المعدنية المسطحة وقد ترعرعت من ثقوب فيها أوراق «الخس» والفلفل الأخضر والطماطم.. إنها الزراعة بغير أرض وفيها تستمد النباتات الغذاء من المواد الذائبة فى الماء الذى يدور فى الأنابيب.

ويصل بنا الكاتب إلى ما يُسمى بالزراعة الفضائية التى تقوم بها وكالة الفضاء «ناسا» تمهيداً لأن يحصل سكان مدن الفضاء فى المستقبل على ما يحتاجون إليه من غذاء.

ويختتم الكاتب مشاهداته بقوله:

«عندئذ يجد سكان الأرض كلهم ما يفيض عن حاجتهم من طعام وغذاء».

ولو استطرد الكاتب أكثر لقال:

هذا بالطبع إذا حقق أصحاب الوكالة العدل المرجو، وآمنوا أن هناك شعوباً غيرهم لهم حق الحياة، وتخلوا عن زراعة الأرض والفضاء بالدمار والألغام لتهيئة المناخ المناسب للزراعة!

ثم تتابع حكايات علمية كثيرة فيما وصل إليه العلم من ابتكارات واختراعات، قد يكون بمقال اصطبغ بلون أدبى أو فى قصة تعانق الخيال،

وقد تتحقق حكايات صافية تأبى الخروج إلا فى شكل قصة قصيرة جيدة، تتحقق فيها أركان القص، ويمكن بسهولة أن نضع أيدينا على نماذج كثيرة فى هذا الاتجاه.

التراث فى ألف حكاية وحكاية

وتبرز الحكايات التراثية فى «ألف حكاية وحكاية» بشكل جيد.. قد تعالج موقفاً طريفاً يتناسب مع خصائص الطفولة، وقد تؤكد على قيمة إنسانية عليا، وقد تتناول شخصيات عظيمة من التراث العربى والإسلامى.

فها هو الخليفة هارون الرشيد عائد من الحج وقد توجه إلى المدينة المنورة كى يستمع إلى حديث الإمام مالك بن أنس فأرسل يطلب منه الحضور إليه، فأرسل إليه الإمام مالك قائلاً لمبعوثه: «قل لأمير المؤمنين إن طالب العلم يذهب إلى العلم أما العلم فلا يسعى إلى أحد».

ويقتنع الخليفة ويجلس مع عامة الناس فى حلقة الإمام مالك مستمعاً إلى الدرس.

كما ينقل لنا الشارونى مواقف من عصر ازدهار العلم فى عصر الخليفة المأمون بن هارون الرشيد والإقبال على الترجمة، ثم يقدم مواقف نموذجية فى تحقيق العدل عن سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ونماذج أخرى يفيض بها التراث العربى الزاخر، كما نعيش مع طرائف جحا ومواقف كثيرة للعرب ترسخ لقيم الحق والخير والجمال.

ولا يفصل الكاتب مادته التراثية عن مشاهداته اليومية، وقد تأخذ رحيق القصة عندما تجنح نحو المباشرة، لكن فى كل الحالات أنت على موعد مع ألف حكاية وحكاية.. قد تكون الحكاية من تأليف الكاتب فتأتى بزونقها

وصدقها وامتثالها للتركيز حاملة رؤيتها الخاصة للعالم، ودالة على امتلاكه لأدوات حرفته، وقد تكون إعداداً لا يخلو من روحه فقد أعاد إليها روحاً جديدة، وألبسها ثوبها العصرى، وأفاض عليها من اتساع رؤيته ووعيه بحاجة الطفل وشغفه بالحكاية، ويسعى من خلالها إلى ترسيخ معانى وتقديم أخرى، فالأطفال هم شغله الشاغل، وهو يعرف تماماً ما يريدون فلم يبخل عليهم بالمغامرة ولا المعلومة.

لذا فقد صار هناك عدد ضخم يترقبون حكاياته التى لا تنتهى، فصار يقدم الرواية فى تلك المساحة القليلة، فأنت فى كل مرة على موعد مع مائة وستين كلمة، سوف تترك فى نفسك أثراً جميلاً، وهذا سر من أسرار تفوق قلم يعقوب الشارونى.

• السيرة الذاتية

لرائد أدب الأطفال

أ. يعقوب الشارونى

ولد يعقوب الشاروني في ١٠ فبراير سنة ١٩٣١ بالقاهرة حيث درس القانون، وحصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٥٢ وهو مؤلف لأدب الأطفال، وأحد كبار رواد أدب الأطفال في مصر والعالم العربي، والرئيس السابق للمركز القومي لثقافة الطفل، دراسته العليا في الاقتصاد، تدرج في مناصب القضاء حتى وصل إلى منصب «النائب» بهيئة قضايا الدولة (رئيس محكمة) في عام ١٩٦٧ طلب الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة انتدابه من منصبه في القضاء ليعمل بوزارة الثقافة متخصصاً في ثقافة الطفل ومديراً عاماً للثقافة الجماهيرية (الهيئة العامة لقصور الثقافة) وفي عام ١٩٦٩ سافر إلى فرنسا لدراسة أساليب العمل الثقافي بين الجماهير خاصة في مجال ثقافة الطفل ومن سنة ١٩٧٠ حتى ١٩٧٣ أشرف على مركز ثقافة الطفل ومسرح الطفل بالثقافة الجماهيرية، ثم عمل مستشاراً لوزير الثقافة لشئون ثقافة الطفل، وعمل معظم الفترة من ١٩٨١ حتى ١٩٩١ رئيساً للمركز القومي لثقافة الطفل بدرجة وكيل وزارة، وأصدر سلسلة «مجلدات بحوث ودراسات ثقافات الطفل» وأنشأ «المسابقة القومية للطفل الموهوب»، كما أصدر العدد التجريبي من أول مجلة للثقافة العلمية باسم «النحلة» كما أنشأ «الندوة الدائمة لأدب وثقافة الطفل».

بدأ حياته الأدبية بالكتابة للمسرح، وحصل على جائزة الدولة الخاصة فى الأدب عام ١٩٦٠ والتى تسلمها من الرئيس جمال عبدالناصر، والجائزة الأولى للتأليف المسرحى عام ١٩٦٢ وحصل على جائزة أحسن كاتب أطفال عام ١٩٨١ عن قصته «سر الاختفاء العجيب» وكانت د. سهير القلماوى رئيسة لجنة الجائزة، وعلى جائزة أفضل كاتب للأطفال عن مجموع مؤلفاته عام ١٩٩٨ من المجلس الأعلى للثقافة. وفى عام ٢٠٠٢ حصل كتابه «أجمل الحكايات الشعبية» على الجائزة الكبرى لمعرض بولونيا الدولى لكتب الأطفال لأحسن كتاب أطفال على مستوى العالم، وهو نفس الكتاب الذى فاز عنه المؤلف بالجائزة الخاصة لمسابقة سوزان مبارك لأدب الأطفال.

يعمل منذ عام ١٩٨٢ حتى الآن أستاذاً زائراً لأدب وقصص الأطفال بكليات التربية بجامعات حلوان والإسكندرية وطنطا وكفر الشيخ وجنوب الوادى وهو عضو جمعية الرعاية المتكاملة، وعضو لجان تحكيم جائزة سوزان مبارك لأدب الأطفال، وعضو لجنة تحكيم جائزة الدولة التقديرية لأدب الأطفال بالأردن. وفى عام ١٩٩٣ شارك فى وضع الخطة القومية الشاملة للطفل العربى بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم زار معظم بلاد العالم للتعرف على ثقافة الطفل، ويقدم منذ عام ١٩٨٢ وحتى الآن (٢٠٠٣)، فى صحيفة الأهرام، ركناً خاصاً بالأطفال (حكاية أعجبتنى - ألف حكاية وحكاية).

وتتميز قصص يعقوب الشارونى بالحس الإنسانى المرهف وبقدرتها على جذب الصغار والكبار، لمضمونها المعاصر المتصل بالمواقف الحياتية، وما فيها من شخصيات نابضة بالحياة حتى ليحس القارئ بأنه

يعرفها، بالإضافة إلى حيوية الحوار الذى يجيد الشارونى إبداعه للتعبير عن حقيقة الشخصيات وتجسيد المواقف، ونجد معظم قصصه تتفاعل مع أهم القضايا التى تشغل الأطفال والعالم، مثل قدرة الأطفال على الإبداع، وقبول الآخر، واحترام قدرات الطفلة الأنثى، والشجاعة فى مواجهة العقبات والإحباط، والواقع النفسى للأطفال العاملين وأطفال الشوارع وذوى الاحتياجات الخاصة، والخيال العلمى، واحترام البيئة، وتشجيع الأطفال على الحوار والتعبير عن أنفسهم، وهو ما يجعل كل طفل يجد نفسه وأحلامه وهمومه وأفراحه فى قصص يعقوب الشارونى.

بلغ عدد الكتب التى كتبها للأطفال وتم نشرها أكثر من ٤٠٠ كتاب تم ترجمة عدد كبير منها إلى أكثر من لغة أجنبية ومن أهم السلاسل التى كتبها للأطفال: «موسوعة ألف حكاية وحكاية» - «موسوعة العالم بين يديك» - أجمل الحكايات الشعبية - عشرة كتب ضمن المكتبة الخضراء للأطفال - سلسلة فى كل زمان ومكان - كيف نلعب مع أطفالنا - كيف نقرأ لأطفالنا - كيف نحكى قصة - تنمية عقل وذكاء الطفل - ثقافة طفل القرية وثقافة الطفل العامل - القيم التربوية فى قصص الأطفال - ودراسات فى القصة للأطفال - تنمية عادة القراءة عند الأطفال، وله أكثر من ٦٠ دراسة وبحث عن أدب الأطفال والكتابة لهم.

ومن أهم رواياته: سر الاختفاء العجيب - مفاجأة الحفل الأخير - مغامرة البطل منصور - شجرة تنمو فى قارب - صندوق نعمة ربنا - حكاية طارق وعلاء - أحسن شىء أنى حرة - مغامرة زهرة مع الشجرة - عفاريت نصف الليل - أيام الفرح والحزن لأميرة الحذاء الأحمر - المفلس معروف فى بلاد الفلوس - تائه فى القناة - البنت منيرة وقطتها شمسة - حسناء والثعبان

الملكى - الجدة شريفة وحفيدتها ابتسام - معركة الدكتور ماجد - تامر ونوال فى العاصفة - سر ملكة الملوك - أميرة الأجنحة المسحورة، الشاطر حسن - أبطال أرض الفيروز - الصياد ودينار السلطان.

● صدر للمؤلف

فريد محمد معوض

أولاً: القصة والرواية:

- تبات ونبات.. قصص كتاب مشترك.. أدب الجماهير ١٩٨٨.
- المُرسى الأرض.. رواية.. هيئة قصور الثقافة ١٩٩٢.
- عود ثقاب.. قصص.. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢.
- أيام فى الأعظمية.. رواية.. هيئة قصور الثقافة ١٩٩٩.
- أغلى من كل الناس.. قصص.. سلسلة إبداع الحرية ٢٠٠٢.
- أرض الهويس.. رواية.. كتاب رؤى ٢٠٠٢.
- سلسلة «من قصص النجاح» مكتبة الإيمان ٢٠٠٣.

ثانياً: فى أدب الطفل:

- ودائماً تشرق الشمس.. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠.
- حكايتى مع الطائرة.. منظمة الأمم المتحدة للأطفال ١٩٩٢.
- نشيد الشمس.. منظمة الأمم المتحدة للأطفال ١٩٩٢.
- التبة المسحورة.. رواية.. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣.

● مكتبة الصيصان.. سلسلة قصص لأطفال ما قبل المدرسة.. دار الحدائق/ لبنان ١٩٩٥.

● قصص وقطط.. قصص.. هيئة قصور الثقافة ١٩٩٦.

● أجمل القصص العربية [ثلاث قصص فى كتاب مشترك] رقم ٣، ٤ كتاب علاء الدين/ الأهرام.

● علمنا الطير.. قصص.. هيئة قصور الثقافة ٢٠٠٠.

● الديك والدجاجة.. مسرحية.. دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة ٢٠٠٠.

● لا تلقنى فى النهر.. قصص.. دار المعارف ٢٠٠٢.

● سيناء تغنى.. رواية.. دار المعارف ٢٠٠٢.

ثالثاً: الدراسات:

● الحكيم وحكايات الفن.. هيئة قصور الثقافة ١٩٩٧.

رابعاً : أعمال للتليفزيون:

● كتب العديد من المسلسلات التليفزيونية للأطفال من إنتاج التليفزيون المصرى [صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات] التبّة المسحورة.. عندما غنت سيناء - من قصص النجاح - تعالوا نكتب قصة.

● جارى تحويل روايته «المُرسى والأرض» إلى مسلسل تليفزيونى.. وقصته «عزاء أهل القرية» إلى سهرة.

خامساً : الجوائز:

● **فاز بالعديد من الجوائز المصرية والعربية أهمها:**

- جائزة سوزان مبارك فى أدب الطفل أعوام ١٩٨٩، ١٩٩٠، ١٩٩٣.

- جائزة نادى أبها السعودى عام ١٩٩٥ .

- جائزة الاتحاد العام للفنانين العرب فى مسابقة القصة والسيناريو ١٩٩٦ .

- جائزة الشارقة للإبداع العربى فى مسرح الطفل ١٩٩٩ .

- جائزة الهيئة العامة لقصور الثقافة فى القصة والرواية لأكثر من عام ١٩٩١ / ١٩٩٢، ١٩٩٦ / ١٩٧ .

- استعانت العديد من رسائل الماچستير والدكتوراه فى كلية التربية جامعة طنطا بقصصه وأدرجت ضمن مناهج المقرر.

- نشر ما يقرب من مائتى قصة [سردية ومصورة] فى مجلات [ماجد.. أحمد.. سمير.. علاء الدين.. باسم.. قطر الندى.. براعم الإيمان.. سدرة.. زمزم.. جندى المستقبل.. وغيرها].

- كتب خمسين حلقة لمجلة قطر الندى تحت عنوان [زمان فى قريتى] قدم فيها قيم القرية الجميلة فى قالب فنى.

سادساً: أنشطة ثقافية

● أسس وأشرف علي سلسلتى كتب نقدية وأدبية قدمت العديد من الأعمال لمجموعة من الكتاب تحت اسم «سامول الثقافية» «كتاب ساموك».

سابعًا: دراسات عن أعماله الأدبية

- كُتبت عن أعماله العديد من الدراسات والمقالات للأساتذة: د.مصطفى عبدالغنى/ د. عبدالمنعم تليمة/ أ. فتحى سلامة/ د. محمد صالح الشنطى/ أ. يوسف القعيد/ د. حامد أبو أحمد/ د. صابر عبدالدايم/ أ. يعقوب الشارونى/ أ. فؤاد حجازى/ أ. محمد سلماوى/ د. أسماء أبو

طالب/ د. صلاح ترك/ أ. محمد عبدالحافظ ناصف/ أ. زينب العسّال/ أ.محمود علوان/ أ. صالح سليمان عبدالعظيم/ د. محمد زيدان/ أ. أحمد فضل شبلول وغيرهم.

فهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

WWW. egyptianbook. org. eg

E - mail : info @egyptianbook org. eg



هذه محاولة لقراءة نصوص الشارونى من زاوية مشكلات الطفل فى فرحه وترحه وحزنه النبيل ..

نادرة تلك الكتابات النقدية التى تتناول أدب الطفل وتعطيه حقه من المتابعة والتقييم .. بل يبلغ الحد إلى الاستعلاء عليه كنوع أدبى له خصائصه وسماته وقواعده العلمية ، ولأن الطفل المصرى والعربى يعانى مشكلات كثيرة فقد تناولها الكاتب عبر النصوص الإبداعية المكتوبة عنه طارحاً المشكلات فى إبداعات الكاتب يعقوب الشارونى لخبرته الطويلة فى التعامل مع الطفولة وأدب الطفل والتصاقه الحميم والمباشر للطفل فى التجمعات الثقافية ، ويمكنك أن ترى الصمود المصرى متمثلاً فى سعى هؤلاء الصغار نحو تشكيل عوالم جديدة يبرز فيها الإبداع والنبوغ المبكر لهم .



الهيئة المصرية ا...
٥٫٥٠ جنيهاً
ISBN# 9774197879
6 221149 007147